الإمام
محمد متولي الشعراوي

المرأة
و
الرجل

وخصوم الإسلام

دار الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ونحن نتصفح صفحات هذا التراث الايمانى هنا وهناك ، وذلك من خلال أحاديثه ولقاءاته معنا نحن المسلمين داعياً الى الهدى ، ومرشداً جادا الى الصراط المستقيم فهو لايبغى من ذلك كسباً مادياً أو ثراءاً ، فهو .. النبع الفياض الذى لا ينضب ، فكل من يسقى منه يذوق حلاوة يروى منها القلب والعقل ليعى معنى الحياة وفلسفة الخلق .. وما خلق الله الانسان ، وما خلق الجان إلا ليعبدا الله الواحد الاحد خير عبادة .

الامام محمد متولى الشعراوى .. بارك الله لنا فى عمره المجيد فانه يعد صدق قول .. القيثارة الايمانية التى تطرب القلب عذوبة نغماتها الايمانية مايجعلنا نشفق عليه من هذا الجهد المخلص فى دعوته لنا لهذا الدين الحق ، غايته .. مجتمع إيمانى ، مجتمع يسوده المحبة والآخاء ، مجتمع يدرك أهمية الانسان المسلم الحق المتعبد ، الورع ، التقى يدرك

أن الله معه لايضيع أجر عبادته المخلصة مثواه جنة نعيمها دائم فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

لقاء الإيمان مع فضيلة **الإمام محمد متولى الشعراوى** يتمثل هنا فى الرد على خصوم الاسلام فيما يتناولونه بشىء من الاثارة لأمور هامة فى حياة المرأة والرجل ، فيتولى الإمام الرد على تلك القضايا خاصة وأنها أمور تهم حياة الانسان المسلم ففى كل أمر منها يتناولها بالشرح والتفهيم بأسلوب ندركه ونعيه فى كلمات رقاقة كالماء العذب من نبع حلو المذاق ليضحض به أباطيل أعداء الاسلام ، وما تجعلها أداة بين أيدينا للرد على تلك الدعاوى الباطلة وتلك الامور هى ..

- **الزواج والطلاق فى الاسلام .**
- **التعــــدد وحكمته .**
- **الطفولة والتبنى .**
- **العاطفة والحب .**
- **العمـــــل .**
- **خروج المرأة والحجاب .**
- **الميراث .**

وعند تقديمنا لهذا الموضوع ندرك من خلاله حقيقة هامة وهى .. أن **الامام محمد متولى الشعراوى** هو الداعية الملهم من عند الله.. مدد لنا نرى به اليقين الايمانى ، فهو أداة للرشد ليوضح لنا حقائق نجهلها لندرك ما خفى .

كلمة أخيرة هى ..انه فى تقديمنا دائماً لاى موضوع للإمام مانجد لزاما علينا أن نحرص معه كل الحرص ، وذلك لحظة إعداده للنشر لما يمثل الامر غاية من الصعوبة ما يتطلبه الاخذ بمبدأ الحيطة والحذر كى لانخطى فى رونق التقديم .

العالم الجليل والداعية الكبير .. أسلوبه فكر يستقبله القلب ، وخواطره الايمانية رياض عطرة يرتشف رحيقها كل مسلم هنا وهناك فى شتى بقاع الارض والمعمورة .

تلك كلمات قليلة من كثير تعد حق وواجب لما يقدمه لنا **العالم الجليل الإمام محمد متولى الشعراوى** من خلال دعوته الاسلامية المباركة .. له منا كل تبجيل وإحترام ، واعزاز وتقدير .

الناشر

الزواج
والطلاق
فى الاسلام

١

الكلمة التى تقـــال

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمــدك ربــى وأستعينـك
وأصلى وأسلم على خير خلقك
سيدنا محمدﷺ .... وبعد

الرجل الذى دخل الى الحل بكلمة ، وأيضاً يدخل الى الحُرْمَةَ بكلمة .. فإن المرأة التى تعرف إنها ستكون مع رجل هو .. زوجها .. قد تقال منه كلمة قد تنهى هذه العلاقة ، لذا فهى تحتاط جداً فى أن تكون هذه الكلمة فى يد رجل أمين عليها، ولا يمكن أن يكون هذا الرجل أميناً عليها إلا إذا كان رجلاً يخاف ربه ، ويرعى منهج الله فيها كما قال

الحسن عند إستشارته فى زوج إبنه قال له .. إجعلها عندك قِّش فان أحببتها إكرمها، وإن كرهتها لم تظلمها .

إعداء الاسلام يقولون .. أن الاسلام جعل إنفصال المرأة عن زوجهابكلمة عابرة ، نقول لهم .. كيف دخلتم على كلمة الفراق ، ونسيتم كلمة التلاقى .. زوجنى وزوجتك ، فلماذا تستبعدون أن يكون الفراق أيضا بكلمة ؟.. طلقنى وطلقتك .

المقاييـــــس
والإحتياط ..

لو أن المرأة علمت أن فراقها للرجل يكون بكلمة ، وهدم منزل الزوجية كلها منوط أيضا بكلمة .. لإحتاطت المرأة فى أنه لاتجعل هذه الكلمة إلا فى يد أمين عليها لايقولها إلا بحقها، وحين يقولها بحقها تكون هى الإمر الفصل فى قضايا النزاع التى تؤرق الحياة كلها .

واذا مانظرنا الى الاسلام وجدناه يضع المقاييس بالنسبة للرجل هو بعينه المقياس بالنسبة للمرأة فيقول فى المقياس الأول ..

« إذا أتاكمُ مَنَ تَرْضـوْنَ خلُقهُ ودينَه فزوِّجوه
إلاَّ تفعلُوه تكُنْ فتِنَةٌ فيِ الأرضِ وَفَسَادٍ كَبِيرٌ »

(حديث شريف)

ويقول فى المقياس الآخر ..

«تُنْكَحُ الْمَرأَةُ لأرْبَع : لمالِهاَ ولِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»

(حديث شريف)

فلو أن المرأة أخذت فى إختيار زوجها منطق الدين وقانونه ، والرجل أخذ فى إختيار المرأة منطق ألدين وقانونه فإذا التقيا .. أمسك بمعروف ، وإن سرحا .. سرحا بمعروف .

إن الرد على موقف الاسلام فى إنه جعل المرأة تفترق عن الرجل بكلمة يقولها هى .. الطلاق .. والطلاق حينما يُجْعَلّ من حق الرجل على المرأة فعلى المرأة عندما تلحظ الرجل ساعة أن تلتقى به ــ بالرجل لتتزوجه ــ أن تضع هذه الامانة فى يد من يؤتمن عليها .. ولا يؤتمن عليها إلا إنسان له دين إن أحب اكرم ، وإن كره لم يظلم .

ويجب أن نعلم أن الطلاق قد أمتاز عن الزواج بأن الزواج يتم بكلمة .. زوجنى وزوجتك ، ولكن الطلاق لايأتى بكلمة واحدة وهى .. طلقت لكن هو يعطى فرصة أولى .. ويعطى فرصة أخرى ، وبعد ذلك إذا عز اللقاء ، وعزة الحياة ، وعزة العشرة كان أمر لابد منه أن يلدغ الرجل ، وتلدغ المرأة .

يلدغ الرجل فى إنه إن أحب أن يعود للمرأة لانه .. أشتهاها، وأحب أن يراجعها بعد ثلاث لايمكن إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره فذلك .. تأليب لرجولته ، وإيجاد للغيرة حتى لايقف هذا الموقف أبداً إلا عندما يجد الحياة تعز فى أنه يعيشا مع وجود أسباب الخلاف .

إذاً .. الطلاق ليس بكلمة كما يقولون إنما هو بكلمات متفرقات مره فلا تقول بكلمة مرة ، وبكلمة مرة أخرى .. فلم يقل القرآن الطلاق كلمتان .. إنت طالق .. أنت طالق ، وإنما قال الطلاق مرتان ، والمرة حدث فى زمن يأتى بعدها حدث فى زمن آخر ، وبعد ذلك فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فهو أى الزواج يكون بكلمة ، إنما الطلاق يكون بكلمات متريثات بينهما تراة إن أحب أن يراجعها .. راجع مرة ، وأن يراجع أخرى .. وراجع مرة ثانية لماذا ؟.

تبعات الزواج والطـــــلاق ..

الزواج إنما دخلت عليه بدون تبعات تسبقه ، ولكن الطلاق قد يأتى بعد تبعات وهو .. وجود علائق ليس من السهل على القلب البشرى أن يتخطاها ، وأن يتعداها كوجود علاقة المودة ، ووجود علاقة الرحمة ، وفق ذلك وجود علاقات الأبناء التى تربط حياة الزوجين فقد يرتبطان على نكد كسبب من أسباب الحياة الذاتية لإستبقاء أمر النبوة بينهما.

الاسلام حكيماً حينما شرع لكل شىء ووضعه فى موضعه ، ولا نقول .. أن الاسلام إنما جاء لينتقد قضية اللقاء ، ولكن ليصفى وينسق قضية اللقاء فليس من العدل أن يحمى القرآن حياة كلها نكد ليعيش فى ظل قانون جامد لايبيح له أن يطلق .

* * *

٢

أحــداث الحيــاة

إذا كان ألقوم الذين أعابوا على الاسلام لهذا الموقف قد ألجأتهم ظروف الحياة وأحداثها الى أن يعودوا الى قضية الاسلام فى .. الطلاق عودة .. لأنهم آمنوا بقضايا الاسلام ، ولكن لأن أحداث الحياة عضدتهم ، وحين تعضدهم احداث الحياة لايجدون ملجأ إلا أن يذهبوا الى قضية القرآن لا على أنها فضية القرآن ، ولكن على إنها قضية تحل لهم الوضع الذى يأنون منه ويشكون منه .

لقد كانت عصبيتهم القبلية تجعلهم يكظمون أسباب الطلاق فى نفوسهم فتنفثت فى أمور كثيرة تعلقت بكل شىء وأقل ماتعرضت له هى .. قضية بلوغ الرجال فى أعراض الآخرين لانه يكره المرأة ،

والقانون الذى يلزمه بأن يعيش مع المرأة هو فى ذلك لون من الالتزام خارج نطاق الطبع .. ونطاق ألأَلِفِ .. ونطاق العادة .

وإذا كان الطلاق كما قالوا .. أن محاكم المسلمين ممتلئة بقضايا الطلاق ، نقول لهم .. ليس ذلك حجة ضد قضية الطلاق فى الاسلام ، ولكنها قد تكون حجة ضد تطبيق قضايا الاسلام فى مسألة اللقاء .

المعايير والقوانين ..

الذين دخلوا على الزواج بغير معاييره الاسلامية ، وقوانين القرآن فمن الضرورى أن يحدث بينهم هذا الشقاق ، ولكن أتحدى أن يكون رجل قد دخل على الزواج بقانون القرآن ، وامرأة قبلت الزواج بقانون القرآن .. ثم يأتى بعد ذلك شىء يعكر صفو الحياة .. فاذا ما دخل بغير مقاييس القرآن كأن تنكح المرأة رغبة فى .. جمالها ثم يزول هذا الجمال ، أو رغبة فى .. مالها ثم تضن هى بهذا المال ، أو رغبة فى .. حسبها وعزها وأسرتها ثم تكون هذه العزة وهذه الاسرة سوطاً عليه .

إذاً .. فكل شىء إنما جاء ، ولكن فيه مخالفة ، ولو أنه لو لم يكن به مخالفة فى الدخول لما جاء أمر الخروج للناس على بغى لان الذى يدخل بمنهج الله قصداً فانه يمكنه إن أحب أن ينفصل أن يخرج بمنهج الله قصداً ..

«فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا
إِن يُرِيدَا إِصْلَاحـاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ »

(النساء : ٣٥)

ولكن الناس تفهم فى قضية الحكم فهماً آخر .. أتفهم فى قضية الحكم أنه دخل مصلحاً ؟.. لا ، وإنما دخل حاكماً بمعنى أن يفوض الحكم من جهة المرأة ، والحكم من جهة الرجل فى أن يبرم أمراً يكون له قوة الحكم لا قوة المشورة، وحين يكون الامر كذلك تنتهى المسائل المؤدية للنزاع ، وتستتر أسباب ستراً للأعراض فى بعض الاحيان ، وستراً لشراسة الاخلاق فى بعض الاحيان مرة أخرى .

فى الستر .. مايغنى الناس عن وجود الاسباب . لأن الله مَلَّكَ أمر الطلاق للرجل مخافة أن نقول له .. إعرض أسباب طلاقك فيعرض أسباب طلاقه فقد يكون ذلك حائلاً ومانعاً أن تجد المرأة زوجاً آخر أو أن يجد الرجل زوجة أخرى فحين جعلها حقاً إستتر وراءه الكثير من الاشياء التى تحمى أعراض الاسر .. هكذا يجب أن تكون الخميرة الايمانية فى الرد على الكثير من الاقضية عند أعداء الإسلام .

*   *   *

٣

زوجات الرسول

بعض الناس يتطرقون الى شخصية رسول الله محمد ﷺ فيضعون له أشياء يجعلون لها عليه محل المؤاخذة ليسقطوا إحترامنا له فى نفوسنا ، ولكن نقول لهم .. أنتم تأخذون القضايا لتقيسوا بها كمالات رسول الله ﷺ بقضايا تضعونها للكمالات من عندكم ، ومادمنا آمنا به رسولاً ثم نضع له مقاييساً للكمال فى نفوسنا لنزن بها الأمور التى فعلها على مقاييس كمالنا ، ولكن الكمال هو مافعله رسول الله ﷺ. مادام أنت آمنت بمحمد ﷺ رسولاً فيكون الكمال هو ما فعل .

الرسول فعل أو لم يفعل .. فإن كان قد فعل يكون فعله هذا هو .. الحجة لماذا ؟.. لأننى آمنت به رسول ، ومادام محمد ﷺ رسول يكون الله إإتمنه على أن يبلغ منهجه ، وما دام الله إإتمنه على أن يبلغ منهجه يكون آمانته على نفسه أَوْلَىّ من أمانتـه عَلَىَّ أنا .. لذا لاتناقش على موازينك أنت وتدعى أنها موازين الكمال ثم تنسب فعل رسول الله ﷺ اليها .. أنها غير كاملة فمن هذه الاشياء مسألة تعدد زوجات رسول الله ﷺ .

قضيـــــة
للمناقشة ..

مـاداموا هم قد كذبوه رسولاً .. فلمـاذا يؤاخذونه على فعل أو لم يفعل ؟!.. الذى يناقش فى فعل أو لم يفعل إنما يستكثر عليه أن يفعل لو إنه رسول ، والقضية الأصلية عندهم هى .. هى إنه ليس رسولا !!.. فيجب أن لا تمنعه على التصرف ، ولذلك كان النقاش بيننا وبينهم غير مستوى .. لماذا ؟.. لانك تنظر الى فعل معزول عن رسول ، وأنا أنظر الى فعل منوط برسول .. فقداسة الرسول عندى تجعل لفعله تفسير عندى غير تفسيرك عنه .

وإذا أردنا أن نناقش تلك القضية مناقشة موضوعية نقول .. هل الرسول ﷺ جاء والناس يعـددون أم جاء ليشرع التعـدد فى الزوجـات ؟!.

الرسول ﷺ إنما جاء على قوم يعددون .. اذاً فهو حين عَدَّدَ لم يكن بعداً فيمن يعددوا ، وهذه المسألة ـــ التعدد ـــ سبقته ، وإن كان من سبقه من رسل من لم يتزوج كما كان سبقه رسل كثيرون تزوجوا أعداداً متعددة .. فلماذا تجعل الواحد هو المرجح ولا تجعل الكثرة هى المرجحة ؟.

الواحد إنما جاء لحكمة ، والسابقون للرسول محمد ﷺ عددوا لحكمة ، ولكن الرسول لم يشرع التعدد وإنما عندما جاء ووجد التعدد نظام قائم له ولكل الناس .. لكن الرسول ﷺ إن إختلف الأمر فيه بالنسبة الى من تبعه من المؤمنين فان الرسول جاء فقال .. إن الله أمره أن يقول لمن تزوج بأكثر من أربعة أن يمسك بأربعة ويفارق الباقى .. هذا كلام واضح بالنسبة للتابعين للرسول ، ولكن الإباحة لأتباع الرسول .. هل كانت إباحة لمعدود أم الإباحة لعدد ؟ .

الحكمة ..

الإباحة عند أتباع الرسول ﷺ كانت .. لعدد أى كانت لأربعة فإن ماتت واحدة فيأتى بواحدة مكانها .. طلق واحدة يأتى بواحدة مكانها لانه مباح له العدد .. فموت الاربعة ينشىء الزواج لاربعة .. طلاق الأربعة ينشئ الزواج لأربعة .. إذا فتابع رسول الله ﷺ له العدد .

لكن رسول الله محمد ﷺ ليس له .. العدد ، وإنما له .. المعدود ، والفرق بين العدد والمعدود .. أن المعدود إنما أبيح للرسول بذاته .. بحيث

لو ماتت واحدة لايأتى بواحدة مكانها بينما تابع الرسول ﷺ إن ماتت واحدة يأتى بواحدة مكانها ، وأن مات الاربعة يأتى بأربعة ، ولكن إن مات هؤلاء عند رسول الله ﷺ فليس له .. أن يتزوج ولا بواحدة بدلا منهن أى أنه هل أبيح له عدد أم أبيح له معدود ؟.. أبيح له المعدود فما دام كان قد أبيح له المعدود فان تلك بخصوصيتهم كما قال الحق سبحانه وتعالى ..

«لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِن بَعْدُ
وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ»

(الاحزاب : ٥٢)

الحكم فى ذلك ليس لتابع من أتباع محمد ﷺ .. أما الحكم لأتباع محمد ﷺ هو .. أنه يحل لهؤلاء الأتباع النساء وأن يبدلوا زوجاتهم .

إذاً .. العدد أربعة قد يدور عند تابع رسول الله ﷺ فى الأربعة بمعنى إنه يتزوج أربعة ثم يطلقهن ، ثم يتزوج أربعة غيرهن ثم يطلقهن .. اذاً العدد دائر، ولكن رسول الله محمد ﷺ العدد عنده غير دائر لأنه محسوب فى هؤلاء الزوجات فلو ماتوا جميعاً ماحل لرسول الله ﷺ أن يتزوج بعدهن ولا واحدة .

* * *

٤

الشرع عند رسول الله

رسول الله ﷺ أبيح له .. المعدود ، ولكن لم يبيح له العدد ، وأمته أبيح لها .. العدد ، ولكن ليس فى المعدود ، والاباحة فى العدد غير الاباحة فى المعدود كما أوضحنا .

الرسول محمد ﷺ تزوج وأجتمع عنده من الزوجات تسع ، وحين شرع الله تحديد العدد بأربعة كان رسول الله محمد ﷺ .. إما أن يحتفظ بأربعة ويسرح الخمسة ، وحينما يسرح الخمسة وهن .. إمهات مؤمنين فإمهات المؤمنين محرمة على أى فرد آخر من المؤمنين أن يتزوج منهن .

حرمة أمهات المؤمنـــين ..

زوجات النبى ﷺ مادمت .. أمهات المؤمنين فلا يحل لواحد أن يتزوج واحدة منهن .. اذاً فلو سرح رسول الله خمس نساء وأبقى أربعة ليقين الخمسة بدون أن يتزوجن لأنهن .. محرمات على غيره من الرجال من أمته .

رسول الله ﷺ حين يطب من .. أمته بأن الذى عنده أكثر من أربعة أن يمسك بأربعة ويفارق الباقى ، والباقيات له فى مندوحة أن يذهبن لتصرن كل واحدة زوجة لرجل آخر .. بينما بالنسبة لرسول الله ﷺ زوجاته محرمات اذاً .. فليس لهن إلا أن يصرن زوجات لرسول الله ﷺ فقـط .

ولكن فما المعنى الذى يريد هؤلاء أن يغمزوا به نبينا ﷺ ؟!.. نقول لهم .. هذا معنى مرفوض لماذا ؟.. لأن رسول الله وهو فى سن الخامسة والعشرون قبل أن يبعث تزوج أمرأة فى سن الاربعين بينها وبينه فى العمر خمسة عشر عاماً ، وهذا على غير القاعدة المعروفة فى أن الرجل يتزوج عادة بمن كانت دونه فى السن .

رسول الله ﷺ ظل مـع السيدة خديجـة رضوان الله عليهـا إلى أن ماتت ، ولما ماتت عرفنا إنه دخل فى عام أسمه .. عام الحزن حيث مات عمه أيضا ، وبموت السيدة خديجة رضـوان الله عليها لم يجـد عنده أحد ليقوم بأموره ، فكان لابد أن يتزوج بمن تقوم بأموره فتزوج ..

سودة بنت زرعة إمرأة تقوم بواجب الزوجية ، ولكنها بعد أن يتزوج رسول الله ﷺ بعائشة يعقد عليها وسنها ست سنوات .. أى أنه يعقد فى الأول على زوجة فى سن الاربعين ثم يأتى بالثانية ويعقد عليها وسنها ست سنوات ويدخل عليها ـ يتزوجها ـ وهى فى سن تسع سنوات .

عائشة بنت صغيرة لا تشتهى السياق الجنسى أو السياق العاطفى، وتلك ممنوعان هنا ، وبعد ذلك تأتى عائشة لتجد فى نساء النبى ﷺ من تتبرع بليلتها الى ضرتها .. التى تتبرع بليلتها !.. ففى ذلك لايكون الا إذا ما كان رسول الله ﷺ عدلٍ بين كل من نساءه .. تلك ليلة ، وتلك ليلة أخرى فتأتى واحدة لتتنازل بليلتها الى ضرتها .. ولكن مامعنى ذلك أيضا ؟.

حق المرأة ..

طبيعة المرأة تحرص على أن تحتفظ بحقها فى الزوج ، لكن معنى ذلك أن تلك شهادة منها بإنها فى ذاتها إمرأة لاتصلح أن يقضى الرجل معها رغبته وهى تدرك ـ تفهم ـ لماذا تزوجت ؟.. تزوجت لمعنى غير هذا المعنى بالمرة بدليل إنها قالت .. إننى متبرعة بليلتى لعائشة فكأنها فهمت من نفسها أنها لامصلحة لها ولا لرسول الله ﷺ إلا فى أن تكون أماً للمؤمنين فذلك .. وسام من الاوسمة .

أم سلمة مثلاً عندها من الاولاد كثيرون وتقول لرسول الله إنه لم يعد لها إرباً لذلك ، وإنما رسول الله ﷺ يريد أن يجعلها أما للمؤمنين ، ويريد

ان يلقن الناس درساً .. فى أن الانسان إذا ما أصيب فى عزيز لديه فيأخذ من رسول الله ﷺ ماعلمنا فقد قال إستقبل المصيبة فى أى عزيز لديك بقولك ..

« إن لله وإن إليه راجعون ،

الله أم أجرنى فى مصيبتى

وإخلفنى خيرا منها »

حين مات أبوسلمة ، وكانت أم سلمة تحبه قيل لها .. قولى ماعلمنا به رسول الله ﷺ قالت وماذا قال ؟.. قولى .. إن لله وإن إليه راجعون الله أم أجرنى فى مصيبتى وإخلفنى خيرا منها .. فقالت .. أو هناك خيراً من ابى سلمة ؟

أم سلمة أستبعدت وإستكثرت فى أن يوجد رجل أحسن من أبى سلمة .. فكأن رسول الله ﷺ علمها أن هذا الدعاء لابد أن يأتيها بمن هو خير من أبى سلمة ، وحين يكون الذى هو خير من أبى سلمة هو .. رسول الله ..فهذا لايعد طنعاً فى أبى سلمة ، ولكن لو جاء فرد آخر وتزوجته أم سلمة وقالت .. هو خير من أبو سلمة فان ذلك يمكن أن يخدش أبى سلمة .

وحين يقال إن محمداً ﷺ قد أخذ إمرأة ابى سلمة وأصبحت أم سلمة أماً للمؤمنين .. فهذا يرضيها ويرضى أبوسلمة ، فلما قالت ..

أو هناك خيراً من أبى سلمة ، قيل لها .. قولى كما علمنا رسول الله ﷺ فقالت .. فاذا برسول الله يخطبها لنفسه فقالوا لها .. أَوَجَدْتِ خير من أبى سلمة فضحكت وقالت .. نعم فهل يجادل فى ذلك أحد ؟.

القضيــة الايمانيــة
فى زواج رسول الله ..

رسول الله ﷺ لكل زيجة من زيجاته قضية إيمانية يريد أن يُثَبِّتَها رسول الله ﷺ فى نفوس المؤمنين فمثلا حفصة يعرضها أبوها عمر بن الخطاب علي .. أبو بكر ، ويعرضها على .. عثمان رضى الله عنهم فيحز فى نفس عمر أنه يعرضها ولا يقبل أبو بكر ، ولايقبل عثمان أن يتزوجها فبعد ذلك يتقدم رسول الله ﷺ ويأخذها لنفسه فذلك يعد تطيب لمن ؟.. إنه تطيب لقلب عمر الذى كان فى نفسه انه عرضها على أبوبكر ، وعرضها على عثمان فلم يقبل واحداً منهما لأن حفصة كان لها شىء من الشدة فهى تصلح زوجة لرسول الله .

صلاحية حفصة زوجة لرسول الله يدل ذلك على أن الانسان إذا ما إستقبل أى قدر من أقدار الله بالرضا عنه فيمكن أن يبدله الله خيراً منه فكل زوجة من هؤلاء لها قصة مع رسول الله ﷺ ، إذاً .. فالزواج من رسول الله يجب أن يلاحظ فيه أن رسول الله لم يوسع الله عليه فى ذلك ، ولكن بتعبيرنا نحن .. ضيق عليه فى ذلك لأن الذى له أربعة له أن يدير

الاربعة حتى يكونوا أربعين ، ولكن بالنسبة لرسول الله لا يستطيع أن يزيد عن تسعة فلو ماتوا جميعا مااستطاع أن يتزوج ولو بواحدة .. ذلك هو ما يمكن أن نرد به على من يقول ذلك فى رسول الله ﷺ لذلك يجب أن نفسح المجال لمثل هذه الاشياء لنرد عليهم ، لأننا فى هذا الباب نستطيع أيضا أن نرد على المسلمين لعل كثير منهم كانت فى نفوسهم ماتجد فى هذه المسألة شيئا .. فكونهم قالوا ذلك فأنهم خدموا الاسلام أكثر مما أرادوا أن يهدموا به الاسلام أو يشوهوا بها سلوك نبى الاسلام ﷺ .

□ □ □

التعـــدد وحكمتـــه

١

قضيـــة التعـدد

يقولون أن الاسلام لا يجعل للمرأة حق الانفراد بأكثر من رجل بينما الاسـلام يجعل الرجـل منفرداً بامرأة أو بأمرأتين أو بثلاثة أو بأربعة ، ونقول لهم فى ذلك .. أن هذه القضية عولجت إجتماعياً ، وعولجت إقتصادياً ، وعولجت أيضا صحيا فلم يجدوا حلاً لها الا ما قضى به الاسلام .

والحل المنطقى فى أن نقول للمرأة .. المرأة التى تعترض على هذا الحكم أهى متزوجة أم غير متزوجة فنجد أن ٩٥ ٪ من المانعات متزوجات فنقول لها .. لا رأى لكِ لأنكِ متهمة فى إبداء هذا الرأى لأنك

لاتحب شريكة لك ، ولكن لنأخذ رأى مِنّ مَنّ لم تتزوج فتكون هى على الحياد فنقول لها .. ألا تكونين زوجة ثانية بدلا من ألا تكونى زوجة ، فسيكون الجواب .. لا أكون زوجة ثانية بدلاً من أن لا أكون زوجة ، والثالثة كذلك ، أو الرابعة كذلك .

ولو إستفتينا النساء اللائى لن يتزوجن لما وجدنا واحدة منهن نكون على رأى غير الاسلام ، ولكن المرأة التى كما نقول عنها دائماً ونحن فى الريف .. إتستّفِتّ على الرجل – أى إستحوذت على الرجل – لاتحب أبداً لأحد أن يشاركها فى زوجها .

إذاً .. فالرجل ليس ضد المرأة ، ولا الدين ضد المرأة وإنما .. المرأة هى التى ضد المرأة ، وأيضا ضد فكرة التعدد .. منطقياً وواقعياً وفلسفياً فى أى شىء لأنه لا يمكن أن يتعدد الشىء على الشىء إلا اذا كان المتعدد فائضاً .

قضية الفائض
فى الانـــاث ..

إذا كان المتعدد فائضاً فطبيعى أن يتعدد .. والفائض يعنى زائداً على الأصل ولنضرب لذلك مثلا وهو .. دخل جماعة عددهم عشرة الى حجرة بها عشرة كراسى فكل فرد أخذ لنفسه كرسى ففى ذلك لاخلاف ، ولكن إذا دخل العشرة ووجدوا إثنى عشرة كرسياً فأخذ كل واحد كرسى فجلس عليه ثم أخذ أثنين كل واحد منهم كرسى آخر فاتكأ عليه .. فهنا

لايمكن أن يعدد لنفسه كرسيين واحداً للجلوس وآخر للإتكاء إلا إذا كان هناك فائض إذاً .. فالتعدد لا يأتى إلا عن فائض كما فى هذا المثال .

القضية هذه ــ قضية الفائض ــ خدمتها الاحصاءات الحديثة وهذا ما ندركه فى الاحصاءات الحديثة بالبيانات ، ولو إستطاع أى فرد منا أن يجرى إحصاءاً فى قطاعه السكنى أو فى قريته لوجد الاحصاء منطقياً لإننا إذا نظرنا الى عالم التكاثر فى الكون ، وعالم التكاثر نعرفه فى الانسان ، ونعرفه فى الحيوان ، ونعرفه فى النبات أيضاً فإننا نجد أن هذا التكاثر ينشأ بين لقاءين .. لقاء الموجب بالسالب أى .. لقاء الذكر بالانثى أى اللقاح بين الذكر للانثى .

واذا مانظرنا باستقراء الى مفردات الذكور ، والى مفردات الاناث لوجدن دائماً أن الاناث هن .. الكثيرات ، والذكور محصورة ــ معدودة ــ فقد تكون فى واحدٍ أو فى أثنين .

ولننظر الى مزرعة نخيل ثم نجرى إحصاءاً لعدد من النخلات الانثى ، وعدد النخلات الذكر نجد أن النخل الذكر فى المائة يكون .. واحد ، ومرة يكون .. إثنين ، ولايصل أبدا الى ... ثلاثة إلا ١٠٪ والباقى إناث لماذا ؟.. لان الذكر مخصب لأكثر من أنثى ، والانثى لاتخصب من ذكران .

وكذلك اذا ماجائنا الى ١٠٠ بيضة وفرخناها وأحصينا مافيها من الديوك ، ومافيها من دجاجات .. وجدنا أن عدد الإناث أكثر من عدد الذكور .. ذلك أمر طبيعى فى عالم التكاثر .

وأيضاً فى الانسان .. الاناث عددهن أكثر من الرجال .. هذا إذا ما صرفنا النظر عما يطرأ على جنس الذكور وإن كانوا متساويين مع الاناث من التعرض للحوادث والصدمات وللقتال إذاً.. فعنصر النساء الأناث .. دائما اكثر من عنصر الرجال فى كل عالم من عوالم التكاثر .

موقف الاناث الزائـدات ..

فاذا كان الأمر كذلك ولا تعدد الا عن فائض فسنقول الى كل من يقول هذا .. إعطى كل ذكر أنثى ثم ستجد الفائض أنثيات .. هذه الانثيات ماموقفها فى المجتمع ، نقول .. موقفها فى المجتمع إما أن تعف فَتَكْبِتَ ، ومعنى تكبت .. أنها تستطيع أن تكتم السبب الاصيل ليحصل التنفيث بأسباب فرعية أخرى ، والسبب الأصيل لا يُوجِد هذا التنفيث الذى سيكون إثارة الفتن والقلاقل فى بيئاتها وخاصة البيئات القريبة منها .

إذا كانت فتاة لها أخ متزوج وهى لم تتزوج .. نحن نعرف كثيرا من المآسى من مثل هذه المسائل وتأخذ فى جانبها جانب كثير من آلآم التى تعكر معها صفوة الحياة كلها لابسبب لأنها لم تتزوج لأن هذا السبب يكون مستور ، وألحياء يمنع إظهاره ، ولكن يأخذ أسباب وصور شتى .. أسباب شتى نواجهها بالحلول ، ونواجهها بالعلاجات ، ومع ذلك لاتشفى لماذا لا تشفى ؟.. لأننا نعالج الداء .

اذاً .. الاسلام جاء ليمنع هذه الكارثة مادام لافائض إلا بتعدد فلابد أن توضع قضية لذلك المتعدد الفائض ، وذلك المتعدد فوجد الاسلام بأنه يجب أن يشرع ذلك بأن يتزوج الرجل إثنين أو يتزوج إن إضطر ثلاثة أويتزوج إن إضطر أيضاً أربعة .

تلـــك آثـــار

عدم التعدد ..

إمرأة عفت فإنها .. ستكبت ، ويحدث من الكبت ما يحدث ، واذا ما أردنا لها أن لاتعف فمع من سيكون ميدانها ؟.. سيكون ميدانها فى متزوج أو فى فتى لم يبلغ بعد حتى مرحلة إحتمال تبعات الحياة وبذلك .. يفسد المجتمع كله .

تلك مسألة يثيرها خصوم الاسلام ليثيروا حفيظة المرأة ضد دينها وهى مسألة .. التعدد ، والتعدد كما أوضحنا لا يوجد الا فى فائض ، وضربنا الامثلة المتعددة على أن جنس الانثى هو الزائد دائماً على جنس الذكور سواء أكان ذلك فى .. النبات أو فى تفريخ الدجاج أو فى غير ذلك .

قضية الاسلام فى تصفية هذا الامر هى .. قضية طبيعة لجانبين هما :

◉ **الجانب الاول** .. هو حل أشْكَالُ الفائض ، ولا أقول أشْكَالُ الفائض لأن الفائض لم يطرأ على من شرع ، ولكن المشرع الاعلى يعلم أنه سيوجد فائض فى من خلق .. اذاً فالفائضُ لحكمة ، وهذه الحكمة لجأ اليها كثير من الدول الآن ووجدوا نقصا كثيرا فى عدد الرجال نتيجة الحروب وغيرها فأحبوا أن يعددوا حتى يوجد الرجل الواحد مخصباً لعدد زائد من الاناث .

◉ **الجانب الثانى** .. فى تلك الحملة التى يثيرها خصوم الاسلام ليس الحكمة فى تشريع التعدد ، ولكن فى آثار هذا التعدد فى الأسر فأخذوا من واقع الآثار ماينفر من أصل الحكم ففى وذلك تبعاته التى تعود آثاره على المسلمين .

المسلم الذى عدد نقول له .. إنك عددت لحكم الله ، وبإباحة الله لك بأن تعدد فهل التزمت الله فى كل الأمر ؟.. إنك أخذت التعدد بحكم الله فلماذا لاتأخذ العدالة بين المتعددات بحكم الله أيضاً ؟.. لماذا أخذت مايمتعك ويريحك ، ويريحك بحكم الله وقلت .. الله شرع التعدد ، وحين عددت لم تعدل ولم تقل الله شرع العدل !! .

العـــدل ..

إذاً .. فقد أرحت أيها المعدد نفسك ، وأرحت نزواتك ، الا أنك لم تحترم الدوافع الاخرى فى زوجك فقد أخذت لنفسك المتعة ثم أبقيت للإسلام أثر متعتك إستدراكاً ونقداً .. لان آثار تعددك كانت لانك ضيعت حكم العدالة بين المتعددات .

أيها المسلم .. إنك لو أخذت الحكمين معا وإحترمت أمر الله فى العدل كلما إحتجت اليه فى التعدد فعدلت بين زوجاتك فانك لم تجد عند النساء اللائى يثوروا على التعدد أى مثار لسخطهم لأنها ستجد حظها لم يؤثر فيه حظ الاخرى ، وعيشها لم يؤثر فيه عيشة أخرى ، وحفاوتها لم تؤثر فيها حفاوة الاخرى .

تبعات الزواج الأول من الاولى هو .. الذرية ، لم تتأثر أيضا لأنك عدلت فسويت بين كل ذرية ، ولكن حين تأخذ حكم الله فى التعدد ولاتأخذه بالعدل تنشىء تلك الآثار المنفرة البغيضة التى يستغلها خصوم الاسلام ، ولو ان خصوم الاسلام لم يجدوا للتعدد هذه الاثار المنفرة لما أخذوها حجة ليدخلوا منها ضد الاسلام .

إنظر أيها المسلم .. كيف أعنت خصوم الاسلام على الاسلام ؟.. أعنت خصوم الاسلام أنت على أن يدخلوا على نقد قضايا الاسلام لتشوه الأمر التعلق بالمطبق ، ولكن بنفس القانون اَلْمُطَبِّق ، والعدالة تقتضى أن ننظر للقانون من زوايا المطبقين لأن المطبقين قد يكونون طائعين ، وقد يكونون عاصيين .. فاذا كانوا عاصيين فلا تأخذ من عصيانهم حجة تبرر بها السخط على ما قنن الله من قوانين .

* * *

٢

المنهج الحق من الله

المسلم عليه أن يعتبر نفسه فى كل قضية من قضايا دينه داعياً لدين الله .. أو هادياً لدين الله فإن هو طبق ما أخذه عن الله من المنهج بحق كان أسوة للغير فلا يجروء فرد أن يدخل على الدين من ناحية المتدنيين ، ولا على الاسلام من ناحية المسلمين ، وأيضاً فان الذى يختار بين أمرين لابد أن تكون عنده الحجة فى ترجيح أحد الامرين على الآخر.

المرأة التى لم تتزوج ثم يأتى لها رجلاً متزوج ليخطبها ، لو أنها رأت أن تكون زوجة واحدة ، ووجدت لذلك مجالاً .. لما بقيت للرجل المتزوج ليأتى ليخطبها .. فهى قارنت فى أن تكون زوجة ثانية أو لا زوجة فاختارت أن تكون زوجة ثانية .. أو اختارت أن تكون زوجة ثالثة .. أو إختارت أن تكون زوجة رابعة فهنا سيكون لها رأى آخر .

اذا .. فالذى جعلها ترجح سبب عندها ليس عند من ينتقد .. فلاتنتقد أنت لمختار أمراً هو خير الامور له .. فلو لم يكن هو خير الامور لها ، ولو أنها قارنت بين مساوىء التعدد ، وبين أن توجد بلا زواج فقد وجدت أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة خير لها من أن تكون لازوجة .

التعدد إفتراضى
أم أمر مباح ؟..

المرأة إختارت الخيار بنفسها فما فضول المجتمع فى أن يتدخل؟..الذى يتدخل ليمنع تقول له الزوجة الثانية .. هات لى زوج لأكون الاولى فى حياته أو هات لى زوج لأكون الثانية فى حياته أو الثالثة .. هات لى زوج لأكون الرابعة فى حياته .. اذاً يؤخذ بالحجة التى التى تُلجِمُه فلا فيتدخل فى الامر الذى لا يعنيه .

هل التعدد أمر إفتراضى فرضه الله أو أمر مباح ؟.. الذى لايعجبه أن يعدد .. لا يعدد ، والله لم يلزمنى حتى أن أتزوج فاذا قدرت على أن أحمى أعراض الناس ، وأعف نفسى فلا أتزوج .. اذاً فالتعدد ليس فرضاً ، وليس إلزاما ، وليس من لايعدد يكون آثما فان رآه قبيحا فلا يفعله ..

« فَإِنْ خِفْتُمْ ألا تَعْدِلُواْ فَواحِدَةً»

(النساء : ٣)

التشريع آت بوضوح جداً إذ لم يبح الله للانسان أن يعدد إلا أن يكون خائفا ، ولم يخف أن يظلم فاذا خاف فى أن يظلم وخاف ألايعدل فلا يتزوج الثانية ، اذاً فيجب أن يؤخذ الحكم بكل ظروفه ، وبكل ملابساته هذا من ناحية المرأة .

أما من ناحية الرجل .. فالرجل حين يعدد معناه أن إمرأة أولى فى حياته لم تعد تكف طموحاته .. أى طموحات .. العقلية أو الجنسية أو الاجتماعية ؟ .. أهمها الجنسية لإننا لم نر رجل يتزوج الثانية لأنها مثقفة عن الاولى بل لإنها قد تكون أجمل ، ويمكن أن تكون أصغر .. اذا فأغلبها هو الطموحات الجنسية .. لكن الرجل وجد هذه المرأة التى عندما تزوجها ــ الاولى ــ تحت ظروف خاصة لم تعد تكفيه، ومادامت لم تعد تكفيه فقد تكون له شراسة .. ففى من تكفيه هذه الشراسة ؟.. لاتوجد من تكفيه الا عرضــاً لغير ، أنسمح له ان يريح نفسه فى أعراض الغير ، ولانسمح له أن يأتى بزوجة ثانية على مرئى ومسمع من الجميع .. إمرأة محسوبة عليه ، وذريتها محسوبة عليه وهى منه وهو منها مثل الاولى تماماً .

نظرة بتعقل ..

كل إنسان محسوب عليه شىء يعد مسئول أمام المجتمع عن تبعات ذلك الشىء ، أما إذا أبحنا له فى طموحاته الجنسيـة ألا يتزوج حليلَةً

فقد نبح له ان يتخذ خليلة !! .. إذا فالحلائل خير أم الخلائل خير ؟ .. هذا مايتعب بال الغربيين الآن لأنهم لا يحصرون الخليلات ، ويوحدون الحليلة .

الخليلات غير محصورات هناك فى عدد عند الغربيين ، والنساء جميعهن يعرفن ذلك ولذلك قالت المرأة الالمانية .. لأن أكون شريكة فى رجل مع عشر نساء خير من أن أكون خليلة ، والخليلات فوق المائة لماذا ؟ .. لأن ذلك قطاع محسوب عليه .

اذاً .. فالتعدد زوايا من كل ناحية .. من ناحية الرجل ، ومن ناحية المتعددة ، ومن ناحية المتعدد عليها .. أيطلقك حتى لا يعدد أم تظلين معه ، كل إمرأة عاقلة تقول ... لا .. أظل معه وأكون شريكة لغيرى .

أنظروا للتشريع .. من أى زاوية ، فى المتعددة ،أو فى المعدد ، أو فى المعدد عليها ؟ .. التشريع حكيم فى كل زواياه ، ولكن يجب أن تأخذ الحكمة من كل زواياه فلا نأخذ شيئا من الله ، ونرد منه أشياء . فردنا لشىء واحد مما شرع الله بجوار أخذنا شىء واحد مما شرع الله .. الثانية تشوه الاولى وتكون حجة علينا عند خصوم الاسلام .

التعدد للرجل ..
والمـــــــرأة لا
لــــــــاذا ؟ ..

والتوسع فى تلك الناحية يعد توسعاً صحياً .. هذا التوسع الصحى جاء من ناحية أنه سأل سائل سؤال .. لماذا يجامل الاسلام الرجل

فيعدد له المرأة ، ولايسوى المرأة بأن يعدد لها الرجل ؟ ! .. فكان الجواب ما يأتى .. هل فى بلادكم توجد أماكن ليريح الشباب فيها أنفسهم جنسياً ؟ .. فكان الجواب بالايجاب ، فماذا إحتطتم لصحة الاناث المترددات ؟ .. قال .. إننا نكشف صحياً على هؤلاء الفتيات فى كل أسبوع مرتين ، وهناك مفاجآت لانظام لها ، ولارتابة حتى نتأكد من الأمن الصحى للمترددين على النساء ، فقلت لهم .. أفعلتم ذلك فى المتزوجات ؟ .. فقوبل السؤال بدهشة وكنا فى بلچيكا .. وكيف نصنع ذلك فى المتزوجات ؟ .. فقلت صحياً ، قالوا .. لا ، لم يحدث صحياً مثل هذا .

عندما وجدوا أن الامراض الخبيثة ليست متفشية فى مثل هذه البيئات ـ عند المتزوجات ـ وكانت تلك إجابتهم فقلت .. أبحثتم عن الحكمة من ذلك !! .. فكان الجواب الذى نقله الى المترجم .. أنه لابحث ، قلت .. لاشك أنكم لم تبحثوا لأنكم لم تجدوا تبعات تضطركم الى البحث ـ وهو تفشى المرض الخبيث ـ .. ولو وجدتم تبعات ذلك عند المتزوجات لإضطررتم الى الحماية الصحية فى الزوجات كما إضطررتم الى إباحة المسألةالصحية ـ الكشف الصحى والحماية ـ للنساء اللائى يترددن عليهن الرجال فى أماكنهن .

وثمة إعتراض وجه الى قضية المرأة فى الاسلام وهو أنه أباح للرجل أن يعدد وحرم على المرأة أن تعدد فاذا نظرنا كما قلنا الى البيئات التى تبيح وجود جماعات من النساء يرتاح الفتيان عندهن جنسياً ، وسألنا الإحتياط الصحى فى هذه المسألة فَأُجِبنَا بأن الاحتياط الصحى قائم فى كل أسبوع مرتين فما كان منى إلا أن سألت .. أفعلتم

ذلك الاحتياط الصحى على المتزوجات فكان الجواب أولا بالدهشة ثانياً بالمنع بأنه .. لا ، فقلت .. هل سألتم أنفسكم لماذا لم تصنعوا ذلك مع المتزوجات فقالوا .. لم يكن ذلك محل بحث ، فقلت .. أنا أقول لكم أنكم لم تبحثوا لأنكم لم تجدوا ضرورة تلجاكم الى أن تبحثوا ، ولكنكم لو وجدتم ضرورة فى أن تبحثوا .. لبحثتم كما وجدتم ضرورة فى النساء اللائى يترددن عليهن الرجال ، وقاية من إنتشار الامراض الخبيثة لإضطرركم ذلك أن تكشفوا على كل متزوجة .. أتعرفون السبب ؟ .. فكان الجواب بالنفى ، فقلت .. إننى أقول لكم السبب وهو أن المرض الخبيث لاينشىء إلا من تعدد ماء الرجال فى المحل الواحد ، أما أن يوجد محل واحد لرجل واحد لماء واحد فلا خطر منه لمرض خبيث .

أدرك الاسلام الحقيقــة ..

الدهشة أخذتهم وأخذهم العجب من أن الاسلام وصل الى هذه المسألة ، أقول نحن لم نصل اليها تحليلاً ، ولم نصل اليها تحت ضغط الاحداث أو الامراض التى تفاجأنا ، ولكننا إنتهينا اليها لأن الذى آمنا به بدء التشريع بها ولن يتركنا الى أن نجد العلاج بعد أن نشقى بالداء .. فهذا هو آفتكم إنتم .. آفتكم أنكم لاتذهبون الى الدواء الا بعد الشقاء من الداء .

القرآن عصمنا من أن نشقى بالداء لأنه شرع ذلك لنا إبتداءً ، وربما كنا لانعرف العلة وأخذناها حكماً مسلماً من حكيم .

لكننا بعد أن بحثنا الاشياء بحثا دقيقاً إنتهينا الى الحكمة فيها ، وهكذا دائماً نؤمن بأن كل قضية حكم فيها الاسلام حكماً قد يقف العقل فى حكمتها ، وفى أسبابها فينير الله لنا الطريق فى أن نعرف الحكمة فى كثير مما غابت عن حكمته ليزداد إيماناً بما ظلت حكمته غائبةً عنا .

❒ ❒ ❒

الطفولـة والتبنـى

١

الطفولة

الحق سبحانه وتعالى الذى خلق الانسان ، وخلق الذكر والانثى الرجل والمرأة وجعل لكل نوع مهمة فى الحياة ، وكانت الخلقة التكوينية لكل واحد من النوعين تتناسب مع مهمته ، والذين يحاولون أن يوقعوا بين الاسلام والمرأة فأنهم يريدوا ان يجعلوا من المرأة حربة ينفذون بها الى صدر الاسلام .. فهم حين يتكلمون على أن الاسلام يريد ان يجمد المرأة ، وأن يمنعها حظها من حركتها فى الحياة ، فأن يقوموا ببناء سد عنيف يعوق بينها وبين متطلبات حياتها من الحرية ومن الانطلاق .

الذى يحاول أن يجعل للمرأة مهمة أخرى فى الحياة يكون قاسياً على المرأة لأن مهمتها الأصلية إن أرادت أن تكون مخلصة فيها ، وأمينة

عليها فان ذلك يحتاج منها ضعف الوقت الذى تعيشه الان وأنه من الانصاف أن نبين أن المرأة تتعامل مع الطفل والانسان في طفولته الذى يعتبر المقياس الاعلى فى الطفولات للكائن الحى .

خليفـــة الله

فى الارض ..

الاشياء تختلف طفولتها .. فمنها طفولته ساعة ، وشىء طفولته يوم وغيره طفولته أسبوع على قدر عمره ، وشىء آخر طفولته عام ، وغيره طفولته عامين ومع ذلك نجد الانسان هو السيد .. طفولته تتناسب مع سيادته، ولذلك تتحدد الطفولة فى عرف الاسلام بالبلوغ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ..

« وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ»

(النور :٥٩)

الحد الذى يخرجنا من الطفولة ماهو ؟..هو أن يبلغ الطفل الحلم فيكون إنسان رشيد مكتمل لا يخرج على الطفولة إلا إذا كان عنده قدرة أن ينجب مثله وذلك معنى قوله .. « وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ» .. اذاً فمن ولادته الى أن يبلغ هو .. طفل ، وتلك الطفولة فى حاجة الى .. حاضن هذا الحاضن اذا نظرنا اليه وجدناه فى .. الاب والام ، ونقول .. تلك حضانة الأب فى الخارج ، وحضانة الأم فى الداخل .

إذا نظرنا الى القيم التى تسيطر على حياة الانسان بعد أن يكون .. شابا فتيا ، وبعد أن يكون .. رجلاً ، كل هذه تتكون من أشياء منذ يوم أن تتفتح عنده وسائل الإدراك .. لا تَقُلّ إنه يتعلم بعد كذا سنه ، أى أنه بمجرد أن يدرك .. تبدأ قضية التعلم للقضايا الكونية التى سيمارسها وهو .. طفل فإياك أن تفهم أن التعليم يوجد فى سن متأخرة ..

« واللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ »

(النحل : ٧٨)

إذا بمجرد أن يوجد سمع .. يوجد إدراك ، وبمجرد أن يوجد بصر .. يوجد إدراك فبمجرد أن تأتى ركيزة من المدركات الحسية وتتكلم المعلومات العقلية .. بوجود إدراك فكل سمع يعطى إدراكاً ، وكل مرىء من المرائى يعطى إدراكاً ... إذاً فوجود السمع للطفل به سيتعلم لان مهمته عالية تتطلب طفولة واسعة لماذا ؟ .. لان الطفل سيتعرض لقضايا كثيرة جدا تناسب رسالته فى الحياة لأنه هو .. السيد، وهو .. المهيمن على هذه الاشياء ، وهو .. خليفة الله فى الارض .. إذا فلابد أن يعد الاعداد المناسب فطول طفولته يدلنا على أن طفولته تتناسب مع هذه الطفولة التى يتعلم فيها .

مملكـة الأم ..

الأم هى .. سيدة هذه الفترة ، ومن الممكن أن نأتى بحاضنة تصنع له أشياء ، ولكن الأم لاتستطيع أن تأتى بأى حاضنة لها قلب أم ، قلب الأم له وظيفة .. المحاضن التى صنعوها فى الخارج فقد جاءوا منها بأطفال كثيرين وتشرف عليهم حاضنة لم تؤد إلا الى الاطفال ، وهذا ما قرأناه فى كتاب .. «أطفال بلا أسر» .. لماذا ؟ .. لأن الطفل تأتى عليه فترة من الفترات يريد فيها .. راعياً له وحده ، وحامياً له وحده ، ومعتن به وحده بدليل أننا إذا رأينا طفل ولد له أخ بعده ــ على رأسه أخ تانى ــ أنظر ماذا يحدث ؟ .. لو أن الأم نظرت الى هذا نظرة الطفل الثانى يحزن الأول فما بالك بحاضنة تشرف على عشرة أو خمسة عشر أو عشرين طفلا .. طاقة من العطف موزعة على غير أبناء من حاضنة ليست بقلب أم.. أم بقلب غير الأم ؟ .

تلك طاقة موزعة على غير أبناء ، وليست بقلب أم .. ماذا يكون الموقف ؟ .. فالمرأة لو أننا أردنا أن نأتى لها بمهمتها على ما طلب منها فنجد أنه يضيق وقتها بها .. فمن الممكن أن تكون المرأة كل شىء فى الوجود إذا أرادت أت تخلص لمهمتها .

* * *

٣

التبنى

زيد بن حارثة كان .. عبداً ووهبته السيدة خديجة الى رسول الله ﷺ فلما وهبته له ، صار ملكاً لرسول الله ، وجاءه أبوه وقد عرف أنه فى مكه حيث كان .. مسروق ، وأراد أن يأخذه والده من رسول الله فخيره رسول الله ﷺ بين أن يذهب إلى أبيه وبين أن يظل معه .

إنظروا الى .. حب زيد الى رسول الله ﷺ فقد قال زيد .. ماكنت لأختار على رسول الله أحداً ، ولم يرضى أن يذهب مع أبيه ، وظل مع رسول الله فأراد سيدنا محمد ﷺ بالحنان البشرى أن يكافىء زيد على ذلك فدعاه ـ أى سماه ـ زيد بن محمد فبعد أن كان أسمه .. زيد بن حارثة أصبح .. زيد بن محمد .

التبنى عند
رسول الله..

الله سبحانه وتعالى لم يوافق على مسألة التبنى فى الاسلام وأراد أن يبطلها عند محمداً ﷺ وعند غيره ، ولكنه جعل رسول الله هو .. الاسوة فى إلغاء هذه القضية وهى .. منع التبنى

«أَدعُوهُمْ لأَبَآئِهِمْ»

أكان هناك حكم محمد ﷺ فى أننا ندعوهم الى الأباء ثم عدل محمداً ﷺ بحنانه ليكون .. زيد بن حارثة ؟ .. لا لم يكن هناك حكم فى هذا ، وانما صنع محمد ﷺ ذلك ليرد له جميل زيد فى أنه آثر وجوده مع رسول الله على وجوده مع أبيه فأراد أن يكافئه فلذلك كان الحق سبحانه وتعالى وهو .. حكيم فى الاسلوب إذ أنصف رسول الله ﷺ إذ قال ..

«أَدعُوهُمْ لأَبَآئِهِمْ هُوَ
أَقْسَـطُ عِندَ اللهِ»

(الاحزاب : ٥)

أقسط أفعل تفضيل .. أقسط أكثر عدلاً .. إذاً الذى فعله محمد ﷺ لم يكن جوراً لأنه لو قال .. إدعوهم لأبائهم ذلك هو القسط عند الله لان فعل محمداً ﷺ جوراً أى قسطاً يقابله جور ولكن قوله الحق هو .. أَقْسَطُ عِندَ اللهِ» .

ثم لن
ندعوهم ..

.. يارسول الله أنك فعلت ما يوجبه القسط لأنك أردت أت ترد جميل زيد إلى ، وذلك .. عدلا لكن إنه عند الله قضية أعدل وهى ..

«أُدعُوهُمْ لأبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ
اللهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَآءَهُمْ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ»

(الاحزاب : ٥)

إذاً .. هل أنصفه الله فى الحكم أم لا ؟ .. النظرة السطحية الى الاسلوب تقول .. عدل الله هو قول زيد بن محمد .. لا إنه قال .. إجعله زيد بن حارثة ؟

إنظروا الى العبارة « هُوَ أَقْسَطُ عِندَ الله » .. لم يقل ذلك هو القسط عند الله ، فلو قال .. ذلك هو القسط عند الله لنسب لمحمد ﷺ الى ما يقابله القسط وهو .. الجور ذلك عندما يقول .. ذلك أقسط ، ذلك أعدل فكأن محمداً ﷺ بدعوته زيد بن حارثة اليه وقال .. زيد بن محمد .. ذلك عدل على طريقته ، ولكن الله فوق محمد أعدل ، ومحمداً ﷺ لا يستنكف أن يعدل الله له حكم أو يصوب له حكماً .

❑ ❑ ❑

الحب
والعاطفة

١

الحب

عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قال لقاتل أخيه زيد .. إذهب عنى وجهك فأننى لا أحبك ، فقال الرجل .. أوعدم حبك لى يمنع عنى حق من حقوقى ، قال عمر .. لا ، ، فقال قاتل زيد .. إنما يبكى على الحب النساء ! .

التشريع لم يمنع من أن تكره ، ولايمنع من أن تبغض ، وإنما الذى يوجد هناك هو .. حب عقلى ، وبغض عقلى ، وحب عاطفى ، وبغض عاطفى ، والحب العاطفى .. الاسلام لا يتدخل فيه لأن العاطفة لايقنن لها ، أيضاً البغض العاطفى .. الاسلام لا يقنن له أيضاً إنما يقنن له عند النزوع .. تحبه لاتظلمه ، وتكرهه لاتظلمه ، ولكن الحب العقلى هو المطلوب منك .

وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه له مع رسول الله ﷺ موقف فى الحب عندما قال الرسول ﷺ له ..

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ والدِهِ وَوَلَدِهِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فماذا حدث ؟ .. عمر قال له .. أحب من نفسى لا ! .. سيدنا عمر منطقى مع نفسه ، فقال له رسول الله ﷺ .. لا حتى أكون احب اليه من نفسه ، وكررها .. فلما علم عمر رضى الله عنه إصرار النبى على أن ذلك .. شرط من الايمان علم عمر بفطرته السليمة بان الحب الذى يعنيه رسول الله ﷺ إنما هو .. الحب العقلى لان الحب العاطفى لايمكن أن يكون له شروط فلا يقدر أحد أن يعلل له .

الحب .. عقلى
أم عاطفى ؟ ..

ماالفرق بين الحب العاطفى والحب العقلى ؟ .. الحب العاطفى حب بلا سبب ، أنت تحب إبنك حتى ولو كان غير مجتهد .. بعاطفتك ، كذلك تحب ابن عدوك الذكى .. بعقلك . والانسان يحب الدواء المر .. أيحبه

بعاطفته ؟ .. لا إنه يحبه بعقله لأن هذا الدواء المر هو الذى يأتى له بالعافية ، ويسر لمن يأتى له بالدواء المر وان كان لا يجده فى الصيدلية ، ويسر كثيراً عندما يحضر له .

حبنا لرسول الله محمد ﷺ يجب أن يبدأ إيمانياً بالحب العقلى ، وأقول أنا .. لولا رسول الله ماذا يكون موقفى ؟ .. إننى أحبه عن نفسى لأنه هو الذى أنقذ نفسى ، هو الذى أعطانى الخير كله .. إذاً أنا أحبه بعقلى إلى أن يتسامى هذا الحب فيصبح حب عاطفى أى أحبه بعاطفتى .

المرأة التى قتل والدها وأخاها وزوجها فى المعركة ، وبعد ذلك يقال لها .. قتل أبوك وأخوك وزوجك فتقول .. ماحال رسول الله ؟ ! .. إذكر لى من أجل أن أطمئن عليه .. وذلك إرتقاء بالحب ، إذاً .. فالحب الشرعى المطلوب أو الايمانى هو .. الحب العقلى ، والحب العقلى به تكليف أما الحب العاطفى لاتكليف فيه ، والأمور التى يجدها الانسان فى نفسه لايتوقف فيها الثواب والعقاب مادامت لا تؤدى الى العمل النزوعى ، ومادامت لا تؤدى الى عمل نزوعى فنجد أن منطقه التشريع فى العمل النزوعى هى فى شىء واحد هو .. تعد التشريع فية مرتبة النزوع ، وأدى بها الى المرتبة الأولى وهى .. مرتبة الإدراك ، وتخطى مرتبة الوجدان أيضاً . أى أنه قال لك .. لا تُدْرِكْ لكى لا تَجِدَ من أجل أن لا تنزع .

الإدراك بإعجاب ..

ونضرب لذلك مثلا لنقرب ذلك الأمر إلى الأذهان وهو أن الإنسان حينما يمر أمام بستان فيجد وردة جميلة .. إدراكه للوردة يعنى ذلك إدراك إعجابه بها ، حبه لها .. ذلك وجدان ، وعملية مد يده ليقطفها فذلك هو .. نزوع ، والتشريع يتدخل أيضاً ، وهل يتدخل فى الإدراك ؟!.. فهل يقول لك التشريع لاتنظر اليها ؟ .. لا أيتدخل أيضاعندما رأيتها لاتسر اليها ؟ .. لا لم يتدخل ، ولكن لحظة ماأردت أن أمد يدى اليها ، فهنا تدخل التشريع وقال .. أنها ليست ملكك أنت ، فاذا أردت فاذهب وإزرع لك شجرة ورد .. أو أستاذن صاحب الوردة لتأخذها ، واذا لم يكن لك مكان تزرع فيه فإحضرلك أصيص من الفخار وضع به شجرة الورد مادمت تحب الورد لكن لاتأخذها .

إذاً .. التشريع لم يمنع أن تدرك ، والتشريع لم يمنع أن تَجِدَ إعجاب فى نفسك ، ولكن التشريع يقف عند العملية النزوعية إلا فى مسألة المرأة لماذا ؟ .. لأنك لاتستطيع أن تفصل الإدراك .. رأيت إمرأة جميلة فتؤدى صورتها الى نفسك بشىء من الإعجاب ومن الحب فى الوجدان ، ولاتستطيع أن تفصل الإدراك عن الوجدان ، ولا الوجدان عن النزوع لماذا ؟ .. لأن تلك العملية سيترتب عليها شىء مادى فى تكوينك ، وهذ الشىء المادى فى التكوين إما أن تكتبه ، وإما أن تنطلق به فان إنطلقت به بلغت فى .. أعراض الناس ، وإن لم تنطلق به .. عقدت حياتك وأتعبت نفسك وحملت بنيتك فوق ماتطيق وكأن الله رحمة بك قال .. أنا

سأتعدى فى عملية التشريع مرتبة النزوع .. وأُحَرمّ الإدراك حتى لايوجد وجدان ، وحتى لايوجد نزوع ، وبذلك أكون قد رحمتك .

إذاً .. التشريع الإسلامى حينما قال للمرأة .. إحتجبى وقرى منزلك ولاتعرضى مبازلك فماذا يفعل ؟ .. فذلك أولاً تكريم للمرأة ومنعاً للعملية النزوعية التى تنشأ عن الوجدان الذى ينشأ عن الإدراك .. فأنا إذا لم أدرك فلم يحدث لدى شىء لكن إذا إدركت وجدت .. وإذا وجدت حاولت أن أنزع .. إذاً يكون التشريع أتى فى هذه المسألة وحدها وقال للانسان أيها الإنسان .. أنا سأمنعك وأرحمك وأطلب منك أن تغض طرفك ، وأطلب من المرأة الا تبدى زينتها إلا لمحارمها .. فاذا ما حدث ذلك يكون المجتمع إمتنع عن الإدراك .. ونتيجة لذلك إمتنع عن الوجدان ، وبذلك إمتنع أيضا عن الزوع ، وفى ذلك للمرأة تكريم وتأمين .

* * *

٣

العاطفة والعقل ..

للمرأة عقل يخاير بين البديلات فى منطقتها .. فاذا حاولت المرأة أن تأخذ من الرجل خيار بديلاته .. أو الرجل حاول أن يأخذ من المرأة خيار بديلاتها نقول له .. ستقف أمامك بنية الأشياء التكوينية ، ومعنى بنية الأشياء التكوينية هى .. الطبيعة التى خلقت عليها ، فهب أن المرأة أخذت عمل الرجل أيمكن للرجل أن يأخذ عمل المرأة ؟ ! ▪

مهمة المرأة هـى .. وعاء للإنسان تحمـل وتلد وترضـع ، فهل للرجـل أن يصـنع نفس ماتصنعه المرأة ؟ .. لا إذا البنية تقف ، ونقول له .. إن أردت أن تسوى المرأة بك أو أرادت المرأة أن تسـوى نفسها بالرجل !! ظلت مسائل بطبيعة تكوينها منوطة بها فقط ، فهل أنت صعبتها على المرأة ؟ .. أو خففتها على المرأة ؟ .. أنت صعبتها على المرأة .

وأيضاً اذا ماأردنا أن نلاحظ العملية التكوينية ، نجد أن الرجل يمتاز بالصرامة .. ومعنى الصرامة أن طاقة العقل هى التى تتحكم فى تصرفاته ، وطاقة العاطفة تكاد تكون على قدرها فيه ، وأنا لا أقول مطموسة فيه ، ولكن على قدرها فى الرجل ، والمرأة ستتعرض لمهمة تتطلب .. العاطفة قبل العقل ، والرجل يتعرض لمهمة تتطلب .. العقل قبل العاطفة .

فى حياتنا اليومية نرى الرجل مكدود ، ولكن حين يجىء ليرتاح ليلا له طفل يتألم ويبكى .. ماذا يكون موقف الرجل من المرأة حين يسمع طفله يبكى ؟ .. لايرى الرجل إلا أن طفله يفسد عليه نومه ، ويعكر عليه راحته ، وربما إنطلق بألفاظ يسب بها الطفل ، ويسب بها الأم ويقول لها .. إخرسى هذا الولد فأننى أريد أن أرتاح .. نعم هو يريد أن يرتاح .. ذلك المنطق من العقل لانه يريد أن ينام ثم يستيقظ وهو فى نشاط ليقوم بعمله .. فماذا تصنع المرأة ؟ .

منطق العاطفة ..

منطق العاطفة يجعل هناك إفتراق من الرجل .. هو أنه يريد أن تخرسه ــ الولد ــ وهى تذهب إليه وتهدهده ، وترعى ألمه ، وتبعده عن مجال أبيه .. فذلك منطق العاطفة من الأم ، ومنطق العاطفة أن الولد لايقتنع بأن لايبكى ولايستطيع الاقلاع عن ذلك لانك لاتعلم ماالذى

بيكيه ؟ .. اذاً لابد إنه يريد رتابة من حنان .. ويريد قسطاً من العاطفة السيالة ، وهذه العاطفة تصطدم مع قضية العقل .

إذاً .. فالمرأة لها مجال .. قد يأتى الولد الصغير ويجلس وبعد ذلك تضطره ظروف بطنه أن يقضى حاجته وهو جالس أمام الطعام فماذا يكون الموقف ؟ ! .. الموقف من أبيه يسخط لهذا السبب ، والمرأة تأخذ طفلها بعيداً وتمسح له بيدها ، وتأكله بيدها التى تمسح بها .

طاقة الحنان ، وطاقة العطف مطلوبة فى المرأة ، وطاقة العقل والصرامة مطلوبة فى الرجل لأنه يريد أن يكدح بها فى ميادين الحياة .. فللمرأة مهمة ، وللرجل مهمة ، ولذلك لايصلح للرجل فى أن يتسلم الطفل فى هذا الوقت إنما الأم هى التى تتسلمه .

رغم ذلك فان لها مهمة صعبة ..

الناس يجب أن تفهم من أحاديث رسول اللهﷺ التى تقول ..

« .. فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ ،فإِنْ ذَهبْت تقيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَل أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً»

اذاً .. المرأة قد لاتستقيم إلا بالطلاق فاذا أردت أن تجعلها مستقيمة .. طلقها لا تبقى معك لأن مهمتها .. حنانية ، مهمتها .. عاطفية فيشبهها رسول الله ﷺ .. بالضلع المعوج ، ولكن معوجاً ليكون صالحا لمهمته فلو كان الضلع غير معوج .. أى مستقيم فانه لاينفع لمهمته لأن الله جعله هكذا ليصون ليصون الصدرى للرئة والقلب وغيرها .

الناس قد تفهم أن المرأة خلقت من ضلع أعوج سبة لها !! .. نقول لهم لا .. لكن هذا يناسب مهمتها التى خلقت من أجلها لأن مهمتها حنانية فهى حملت وليدها فى بطنها بشىء من الحنان ، وتحاول أن تحتاط من كل حركة من حركاتها .. بأن تكون بعيدة عن أى ضرر مفاداة أن يتأثر مافى بطنها من حركتها ، كل ذلك مناسب لمهمتها .

إذا أردنا أن نأخذ عمل المرأة فى .. تكوين النشىء وجدناها أتعب من الرجل وأشقى من الرجل لأنها تتعامل مع من لايفهم ، وتتعامل مع من لايستطيع أن يبين موضع آلامه ، وتلك مهمة صعبة وأطول مهمة فى حياة طفولته .

□ □ □

العمـل

١

مهمة المرأة

كثيرون من الخصوم يدخلون على الاسلام إنه دين جاف جامد يريد أن .. يجمد نصف المجتمع وهو المرأة .. يجمد نصف المجتمع لانه لا يجعل للمرأة فى الحياة حركة ، وهنا نقول لهم .. أنكم أخطأتم لأنكم لم تفهموا الاسلام الفهم الحقيقى . ويأتى بعد ذلك قوم ليدافعوا عن فكرة الاسلام فيحاولوا أن يوجدوا فى تصرفات رسول الله ﷺ مايبرر التصرفات التى توجد للمرأة الآن فى العصور الحديثة .. فكلما خرجت المرأة للعمل يقولون .. لقد خرجت المرأة للجهاد وفعلت كذا ، وكذا ولم يدعوا كل حدث فى مجاله وإطاره وضرورياته ، وإنما يقولون .. لقد خرجت المرأة للحرب من أجل أن يبرروا للمرأة أن تتجند ، ومادامت المرأة قد تم تجنيدها فهى تكون مثل الجنود ، ويقولون .. أن فلانه كانت تقوم بالتمريض ، وتداوى .. فهذا لون من الاختلاط له نظير عندنا الآن .

الإختلاطات حينما تكون محاطة بشيء من العقيدة التى تحول عن مطالب الاختلاط .. الشرع مثلا فى الحج نجد إنه فى الحج إختلاط المرأة بالرجل فى الطواف ، وفى أعمال الحج كلها ، فقد تطوف أنت وتجد نفسك بجوار إمرأة وأنت لاتدرى ، ولكن باللّه عليك الرجل الذى ظل ينتظر طوال حياته ليحج الى بيت الله الحرام مرة واحدة فى العمر يحاول أن يكفر بها خطاياه ، ويغسل بها ذنوبه أهو فى هذا الوقت الذى جاء ليستبرأ لذنوبه أيفكر فى إمرأة ! .

وكلنا يدرك أن الانسان الذى هو بلا شعور ، والذى هو بلا حركة نجده عندما تحيط به النساء لايشعر بأى منهن لأن الموقف نفسه لايدع له مجالاً فى أن يفكر فيما يفكر فيه الرجل حين يفكر عندما يجتمع مع إمرأة فى مكان ما .

طبيعة العمل ..

والحرب عملية فيها قتال .. فيها جراح .. فيها قتلى ، ومع ذلك ظلت المرأة تؤدى ذلك الواجب وهى تحاول جاهدة ألا تأخذ من الموقف أكثر من الضرورة فيه .. هذه هى الحقيقة ألم تذهب المرأة وتقتل الكافر الذى إمتنع حسان بن ثابت أن يقتله فلما قتلته قالت لحسان .. أنا قتلته إنزل الآن فاسلبه .. يعنى خذ سلبه أى الغنيمة التى عليه .. والله ما منعنى أن آخذ سلبه إلا أنه رجل .. رغم أنها قتلته وحين قتل فقد الحس والحركة .. أمَا كان من الممكن أن يقاتلك ؟ .. أن تذهب اليه لتأخذ منه ما معه وهو ميت !! ..

المرأة تلك تحرجت أن تذهب اليه لتسلبه وتأخذ سلبه وقالت للرجل .. إذهب أنت .. لأنه سيلتصق به ويأخذ منه ، وذلك لم يبح لها .. اذاً فهى أخذت الضرورة بقدرها ، وإنما نحن نريد أن نجعل من الضرورة بقَدَرِها ضرورة لا بقَدْرِها ، ونأخذها على أنها شيء طبيعى وتلك قضية مسلم بها فى القتال لكن ماذا فى غير القتال ؟ .

وبعد ذلك يقولون .. المرأة كانت تعمل مع من ؟ .. يتكلمون عن أسماء بنت أبى بكر كانت ترعى فرس زوجها ، وتأتى له بالماء لتسقيه وما الى غير ذلك فهى تعمل لزوجها .. ألا تعمل المرأة الآن والشرع يُقِرُهَا مع أبيها ، ومع زوجها ، ومع أولادها ، ومع محارمها .. ألا تعمل المرأة مع بنات جنسها .. اذاً فالذى يراد هو أن ينتفع بالمرأة فيكون ذلك فى حدود مجالاتها .

أهمية عمل المـــــرأة ..

قضية المرأة وما يشيعه خصوم الاسلام من ، أن الاسلام جاء ليحرم المجتمع من نشاط الجنس الآخر لتفقد حركة الحياة نصف المتحركين فى الحياة ، فقد أرادو من ذلك أن يستعدوا النساء المسلمات على دينهم ، وأن يجعلوا من المرأة المسلمة سن حربة ليطعنوا بها كل مقومات الاسلام التى جاءت لتحفظ العرض على الناس جميعا .

قضية المرأة يجب ان تدرس فى إطار من الواقع التكونى الخلقى فقبل أن تبحث ذلك من الناحية الخلقية نجد أن التكوين الخلقى للمرأة يجب حين نريد أن تعرفه جيداً ، يجب أن نقارن بين وظيفة المرأة فى الاسلام وبين ملائمة تلك الوظيفة فى التكوين الخلقى لها .. فاذا ماشئنا أن نبحث تلك المسألة بحثا له أرضية من الواقع ، نقول .. المرأة نوع من جنس ، ومعنى أنها نوع من جنس أى يجمعها جنس الانسان هى والرجل ..

*   *   *

٣

ـــــــــــــــ مهمة الرجل

الرجل هو من جنس الانسان .. والانسان كما نعرفه فى التعريف المنطقى هو .. حيوان ناطـق وناطـق يعنى مفكـر ، ومفكر أى أن له آية ــ قُدْرَةٌ ــ يختار فيها بين البديلات ، وحركة الحياة لاتتطلب عملا لواحد بل العمل يفعله النوعان من الجنس ولكن حركة الحياة جعلت لكل نوع مجاله فى العمل .

وإذاً مانظرنا الى المتحرك نجد أنه هو الذى يقوم بالحركة ، والحركة تحتاج دائماً الى زمان ، والى مكان .. كل حركة لابد لها من ظرف تحدث فيه ، والظرف إما زمان وهو ظرف غير قار .. غير قار أى يكون مستقبل ويكون حاضر ويكون ماضى .. وذلك هو الزمن غير القار ، والظرف والمكان هو .. ظرف قار يعنى مكان ثابت والحدث يحتاج الى .. الظرف القار والى الظرف غير القار ، ومادام الزمان والمكان ظرفان

للحدث ، والحدث لابد ان يكون من متحرك ينفعل بالحدث .. اذاً هناك ثلاث أشياء .. متحرك ، وحركة ، والحركة تقتضى زمناً وتقتضى مكاناً .

الزمان والمكان ..

لو نظرنا الى الوجود كاه لوجدنا .. الزمن عندنا فى تقسيمه العام ينقسم إنقساماً بيناً بالعلامة الى ليل والى نهار .. ثم ينقسم اللبل الى جزيئات ، والنهار أيضا الى جزيئات وهما .

- جزيئات النهار فيجمعها قاسم مشترك هو .. الضوء .
- وجزئيات الليل ويجمعها قاسم مشترك هو .. الظلمة .

الضوء إبنه .. الحركة ، والظلام إبنه .. السكون إذاً فالمتحرك لابد له من زمان ، ولابد له من مكان .. والزمان ينقسم الى قسمين ..

الأول .. قسم يتحرك فيه الإنسان .

الثانى .. قسم يرتاح فيه الإنسان من الحركة ، ولذلك جعله الله سكناً .. فجاء بالليل ليكون سكناً .

السكن لا يكون الا عن تحرك .. أى يكون الليل سكناً ، ويكون النهار حركة .. كأننا نسكن الليل الذى جعله الله للسكن ليمكننا أن نستقبل نهار الغد الذى يعقب ذلك الليل بالحركة .. فما لم نسكن لانستطيع أن نتحرك .. إذا السكون له مهمتان ..

- مهمة تريح من تعب حركة اليوم .
- ومهمة تعين على حركة الغد .

فى الليل والنهار ..

الذى يَتْعَبُ نهاراً ، ولايسكن ليلاً لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك عملاً نظراً لوجود الزمن الذى إنقسم الى قسمين .

الله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان ، وخلق له .. الزمان ، وخلق له .. المكان .

«وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ»

(القصص : ٧٣)

إذاً .. الليل للسكن ، والنهار للإبتغاء ، ولكن هل خرج الليل عن كونه ظرف زمان ، وهل خرج النهار عن كونه ظرف زمان ؟ .. أى فهمنا أن الزمان إنقسم قسمين إلا أن لكل قسم منهما مهمة فإن حاولت أن تدخل واحداً فى مهمة الاخر تكون أفسدت نظام التكوين الزمنى.

الحق سبحانه وتعالى عندما يقول ..

« وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى»

(الليل : ١/٢)

يغشى .. أى يغطى الكون والناس تسكن فيه ، والنهار إذا تجلى وضح وإتضح والناس على بينة من أشيائها فيسعون فى الارض ويضربون فيها .. ويأتى بعد ذلك الظرف الذى للحركة ويتكلم عن المتحرك ..

«وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى»

(الليل : ٣/٤)

سعيكم لشتى .. معنى أن لكل واحد مجال فى سعيه .. سعيكم متفرق أى أيها الذكر لك مهمة ، ويأأنثى لك مهمة فإياك أيها الرجل أن تأخذ مهمة المرأة .. وإياك أيتها المرأة أن تحاولى وتأخذى مهمة الرجل وبينكما قدر مشترك .. هذا القدر المشترك هو أن كلاكما إنسان مفكر له عقل يخاير فيه بين البديلات التى تناسبه فى كل المجالات .

❑ ❑ ❑

خروج المرأة والحجاب

١

ضرورة المتطلبات

ألمرأة حين تأخذ جهد الرجل وعرقه ، تحاول أن تدبره تدبيراً يتسع لمطلوبات الحياة بلا إسراف فيها ، وتستطيع أن تمنيه وتستطيع أن تتعلم ما يكف النفس عن مصروفات فى غير طائلها فهى .. تستطيع تخيط لأبنائها ففى ذلك إذاً نظرت الى المغزل قديماً وجدته يقوم الان مقام آلة النسيج وآلة الخياطة وكل مايتعلق بهذه العملية حتى أنها كانت تنسج ثياب زوجها ، وإذا كانت امرأة العمل يتعبها بشدة فانها تستطيع أن تكون وزيرة صحة ، وأن تكون وزيرة مالية تدبر ، وتستطيع أن تكون قاضية .

الاسلام حين طلب من المرأة أن تتفرغ لهذه المهمة فقد أعطاها الطاقة الحنانية التى تتسع لهذه المهمة .. ويجب الا نعزل قضايا الاسلام بعضها عن بعض .. حيث يقولون لك .. أن حاجة العصر إضطرت المرأة الى أن تخرج للعمل فنقول .. هى حاجة الاسلام لانك غيرت قضية من

قضايا الاسلام .. المرأة مطلوبة من أبيها إن كان موجوداً ، ومطلوبة من أخواتها ، مطلوبة من أعمامها ومطلوبة من زوجها .. إذاً فحين تأخذ قضية الاسلام لا تعزل قضية المرأة عن بقايا قضايا الاسلام فاذا ماوجد إمرأة ليس لها أحد من هؤلاء أو عندها هؤلاء عجزة لايستطيعون ، لم يمنع الإسلام أن تضرب فى الأرض ضرباً يناسب لمهمتها وتحتفظ لنفسها أيضاً بأن تكون إمرأة .

قصة بنات شعيب فى القرآن .. القصة إذا ما قرأتها وجدتها لم تطلب عنصراً من عناصر حياة المرأة اذا إحتاجت إلا وجاءت بها مما يدل على أن القرآن لايعرض القصص لقتل الوقت .. لايعرض القصص لقتل الزمن .. لا يعرض القصص للترفيه إنما يعرض القصص لإلتقاط العبرة منها فيحضر القرآن ليحدد فيه ضرورة .. أى يجب أن تأتى قضايا الاسلام مع بعضها .

الأهمية من العمل ..

الرجل مسئول عن بناته والاخوة مسئولون عن أختهم ، والرجل مسئول عن إمرأته ، ومسئول عن أمته .. إذاً فالإسلام إذا أخذناه جملة واحدة لانجد فجوة واحدة يخرج من واحد .

إذا إحتاجت المرأة ولم يوجد بالمجتمع الاسلامى مروءة ضرب الله سبحانه وتعالى المثل فى قصة موسى ..

«وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ»

(القصص : ٢٣)

إمرأتان تذودان الماشية .. معنى تذودان أى تمنعانهما أن تذهبا الى عين الماء لترد .. فما الذى أخرجهما الى مكان العين ؟ .. شيء ملفت للنظر ، إذاً .. فقول موسى عليه السلام للمرأتين .. «مَا خَطْبُكُمَا» .. هذا كلام طبيعي فقد رأى حالة متناقضة وهو أن إمرأتين خرجتا مع ماشيتهما الى العين ، ومع ذلك لما عادت بالماشية لم ترد العين .. «مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ»

المرأتين قالتا لانسقى وذلك جمع فيما قالته الإثنتين ؟ «قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» .. فان كانتا إتفقتا فى هذا المنطق وقالوا فى صوت واحد فيكون ذلك دليلاً على أن القضية مدروسة وليست إرتجالية .. «قَالَتَا» .. وليس قالت واحدة ، والثانية سكتت مما يدل على أنه حينما قال .. «مَا خَطْبُكُمَا» .. الاجابة جاءت منهما معا .. «قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» .. فذلك دليل على أن ذلك جواب مدروس فتلك لم يفاجأ بها ، أو أن واحدة قالت والثانية سكتت فتلك موافقة سكوتية ..لا نسقى ماشيتنا وهذا هو معنى .. يذودنا حتى يصدر الرعاء .

الضـــرورة

على قدر ..

هناك رجال كانوا يسقون أيضاً فلو أن الضرورة كانت تبيح للمرأة ان تخرج مختلطة بالرجل لكان فى ذلك مايبرر أن تلتقى بالرجل وتختلط به عند الماء .. لا المرأتين أخذتا الضرورة على قدرها أن اخرجتهما لأن أبوهما شيخ كبير فتلك قضية بحيثيتها .. «لاَنَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَالْرِّعَاَءُ .. معناه أنها أخذتا الضرورة بقدرها بدون تزيد .. صحيح خرجنا لان أبانا شيخ كبير أى ليس الضرورة هى التى أخرجتنا الى المسقى أن نحتك ــ نختلط ــ مع الرعاه بل سنترك أمر الرعاة حتى ينتهوا ، وبعد ذلك نذهب فى فراغ ، وإذا كن خرجنا إنما خرجنا فى إطار الحجابا فهن ذهبتا وهن فى حجاب أيضا لإنهم لم يختلطوا بالرجال .. «لاَنَسْقِي حَتَّىَ يُصْدِرَ الْرِّعاَءُ وَأَبُونَاَ شَيْخٌ كَبِيرٌ» .. إذاً أبونا شيخ كبير حيثية الضرورة ، ولانسقى .. الضـرورة بقدرها لم تتزيد .. ماذا يكون مهمة المجتمع الايمانى أو الانسانى ؟ ..

«فَسَقَى لَهُمَا »

وتلك هى مهمة المجتمع .. أنه اذا رأى رجل إمرأة أخرجتها الضـرورة الى مجال عمله أن يؤدى لها العمـل لتعود الى مكانها الطبيعى .. «فَسَقَى لَهُمَا » .. تلك المهمة هى المهمة الإيمانية وأتى بها من موسى إذاً الاسلام حين يعرض القضـية يعرضها لتستنبط منها الضرورة ، ومجـالات الضرورة منها حتى لاتأخذ الضرورة بتزايداتهـا ونضيف عليها إضافـات ليست من مجالات الضرورة .

* * *

٢

خروج المرأة

قصة سيدنا موسى عليه السلام حين ورد ماء مدين وعرضنا لك القصة لنستخلص منها العبرة بأن تكون دستورا* لخروج المرأة للعمل فقد قلنا أن .. الاسلام لم يقف جامداً عند وجود ضرورات تبيح أن تخرج المرأة الى أن تعمل خارج بيتها ، وقلنا أن الاسلام قد ضرب هذه القصة ليحدد الضرورة ، فحددها الحق سبحانه وتعالى فى قوله .. « وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» ..أبونا شيخ كبير حيثية الخروج .. لَانَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ .. ومعنى ذلك أننا بأخذنا الضرورة فى الخروج ليست ضرورة مباحة لمتطلبات الخروج على أى وضع ، ولكن ضرورة لخروج المرأة الى مجال عمل خارج بيتها ، فلابد أن تكون الضرورة فى حدود أنها إمرأة .. « لَانَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ »

وقلنا أن الحق سبحانه وتعالى حينما ذكر المرأتين .. «قَالَتَا» .. يدل على أن تلك قضية مدروسة أى .. ناضجة فى ذهن المرأة الأولى ، وناضجة أيضاً فى ذهن المرأة الثانية .. فلم يكن جواب إرتجال ، ولا جواب بديهيا انما جواب له .. حيثية من دراسة ، وقلنا أن مهمة المجتمع الايمانى على يد سيدنا موسى عايه السلام حين قال الحق سبحانه وتعالى عنه ..

«فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ»

(القصص : ٢٤)

هنا يدل على حاجة سيدنا موسى عليه السلام ، وهو أنه قضى العمل وهو محتاج ولكنه قضاه حسبة لله لأنه رأى إمرأتين خرجتا وذلك مناف للطبيعة ، فقول القرآن يعطينا القصة من موسى عليه السلام بقوله .. «فَسَقَى لَهُمَا» .. لأن الحق بعلمه الواسع عَلِمَ أن أتباع موسى وهم الذين سيضعون للمرأة حدود الإنطلاق عندهم لكن ، أسوة لحدود الإنطلاق عند غيرهم فجاءت من موسى عليه السلام.

وإننا حين نرى مايفد الينا من صناعات اليهود فيما فعلته ناحية تأليب المرأة على منهج الاسلام ، نقول لهم .. نبيكم هو الذى سقى لهما وهذه ليست مهمته .

كرامة المرأة ..

بعد ذلك نلتفت التفاته أخرى الى أن المرأة من كرامتها أن تنهى هذه المهمة .. لم يجعل الله فى القضية إنهاء للمسألة على يد رجل لا على يد موسى ، ولا على يد شعيب والد الفتاتين .. إنما جاء بها عن طريق المرأتين فكأن المرأة الكريمة على نفسها الحريصة على وضعها العرضى ، ووضعها الأدبى فى هذا المجتمع أن تحاول جاهدة أن تخرج من الضرورة حين تجد أول بصيص من الأمل يخرجها من الضرورة ، نلاحظ ذلك فى الصورة الموجودة فى الآية الكريمة حينما قال الحق سبحانه وتعالى ..

« قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ»

(القصص : ٢٦)

لو أن المرأة حلا لها أن تخرج من مكانها الطبيعى الى الخروج لما نبهت أباها إلى أن يستأجر لها الرجل ليسقى لهما أى ليمنعهما من الضرورة التى أخرجتهما .

إذاً .. فالمرأة الواعية هى التى تعشق مهمة التستر ، تعشق مهمة الاحتجاب ، لأن ذلك الحق فيه انه هو .. كرامة المرأة ، ولذلك نلاحظ الشاعر أحمد شوقى رحمة الله عليه حينما جاءت قضية السفور ، وجاء قاسم أمين وحمل لواءها أراد أن يخرج المرأة الى الشارع .. أحمد شوقى وقف وقال قصيدته المشهورة .

الجهلاء الذين سمعوا تلك القصيدة ظنوها تأييداً لخروج المرأة ، وكانوا يستشهدون ببعض أبياتها فمن أراد أن يراجع أبياتها فليرجع ليعلم أن كثير من الذين يجتهدون عند الناس أنهم أدباء يستشهدون بأبيات منها ليأيدوا قضية السفور فنقول لهم .. لم تفهموا عن الرجل شيئا لان أحمد شوقى تكلم فى القصيدة كلاما رمزيا ، وجعل فى المسألة كأنه يخاطب عصفوراً فى قفص .

القفص الذى كان يعنيه أحمد شوقى .. قفص الحجاب للمرأة ، والعصفور هو .. المرأة ماذا قال شوقى ؟ .. إنه يتكلم مع العصفور المحتجز فى القفص فيقول له ..

ياليـــت شعـــرى ياأســــــ يـــرُ ، شـــج فـؤادك ، أم خلى ؟

وحليــــف سهـــدٍ أم تنــــا م الليــل حتـــى يَنجلــــــى ؟

بالرغـــــم منـــى ما تعــــا لجُ فى النحــــــاس المقفــل

حرصـى عليك هـــوىً، ومَـن يُحــــرزْ ثمينــــاً يبخـــــل

وبعد ذلك ماذا قال للذين لم يفطنوا اليه ..

ياطـــــــير ، لـولا أن يـقو لــوا : جـُنَّ ، قلـتُ : تعقـــل

اسمـــــع ، فـرُبَّ مفصَّــلَ لك ، لــــم يفــدك كمجمـــل

صــبراً لما تشقـــى بــــه أو مابدا لــــك فافعــــــل

إنه يقول له .. صبراً لما تشقى به .. أى من حجزك فى القفص أنا أنصحك وأنصحك بإجمال ، وقد ينصحك بإجمال مالا يستطيع مفسراً أن ينصحك به لانه يغشك .

اسمـــع ، فـرُبَّ مفصّـــلَ ... لك ، لـــم يفــدك كمجمــل

صــبراً لما تشقـــى بـــه ... أو مابدا لـــك فافعـــل

أنـــت ابــنُ رأى للطبيـــ ... ــعة فيـــك غيـــر مُبــدَّل

إن طرت عن كنفــى وقعـــ ... ــت علـى النُّسـور الجُهَّـــلِ

أكان فى القصيدة الشاعر أحمد شوقى نفسه .. أيجد سفوراً أم يجد حجاباً ؟ .. فأنه يقول ..

ياطـــير ، لـولا أن يقو ... لـوا : جُـنَّ ، قلـتُ : تعقـل

وقال فى الأول ..

حرصى عليك هـوىً وَمَن ... يُحـرِزْ ثمينـــاً يبخـــل

ويقول فى الآخر ..

إن طرت عـن كنفى وقعــ ... ــت على النسُّـور الجُهـلِ

الشاعر أحمد شوقى كان يعلم ماذا كان يمكن أن يصاب به المجتمع الاسلامى من قضية قاسم أمين التى رجع هو نفسه عنها حينما قال .. لوإننى علمت أن هذه القضية ستؤدى الى ماأنا رائيه الآن لكنت عدلت عنها ، ولكن الناس لم يأخذوا تجارب الغير ويريدون أن يبدءوا هم تجارب ويصدمون بعدها .

إذاً المرأة الكريمة على نفسها تمثلت فى الفتاة بنت شعيب بمجرد مارأت موسى عليه السلام سقى لهما فقالت .. ياأبت إستأجره ولم تقل .. يا أبت إلا ، لأن ذلك يخرجها من الضرورة التى ترى نفسها مضطرة اليها ، ومضطرة اليها على مضض .

إنظروا الى .. لباقة بنات شعيب حينما قالتا .. ياأبت إستأجره كيف يستأجره وهو رجل ويدخل على البيت وفيه بنتين ، ولماذا لايَحِلُّ المسألة حلاً إيمانيا قال ..

«إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى
ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ»

(القصص : ٢٧)

إذاً .. القصة لم يطلقها الله لنا .. لنلهى بها ، ولا لنتسلى أو نقتل فراغاً ، وإنما أطلقها على لسان موسى ، وفى بنات شعيب لأن الله يعلم أزلا أن البلاء سيأتى لنا من أتباع موسى لأنهم هم الذين يزينون لنا ، وللمرأة أن تخرج هذا الخروج فجاء بها حتى نتهم شريعة موسى عليه السلام بهذا الاشياء ، ونفهم اللائى خرجنا على شريعتنا بأنهم خرجن قبل أن يخرجن على شريعة نبيهم الذين يؤمنون به ، وبذلك تنتهى مشكلة الضرورة فى المرأة .

دعوة للاثارة ..

أيضاً عابوا علينا كما قرأت فى كتبهم أنهم أرادوا أن يحفزوا المرأة المسلمة .. أى الفتاة المسلمة على أن الاسلام يريد أن يمنع عن المرأة حقها فى التعليم ، ويريدوا أن يمنعوا عنها حقها فى التحرر وأن تخرج وأن تختار من تشاء وأن ، وأن .. الخ فنقول لهم .. المسألة ليست كما تظنون ، ولكن المسألة أنهم رأوا فى الاسلام خميرة المناعة الإيمانية التى جعلت الفعل النزوعى يسبقه .. الوجدان ، ويسبقه .. الإدراك فلم يقتصر فى التشريع عن .. الفعل النزوعى بل سبقت الى الفعل الادراكى ، ويريدوا أن يهدموا هذه القضية عندنا لأننا قلنا سابقا .. إن التشريع إنما يتدخل عند الفعل النزوعى ، ومعنى ذلك .. أن الوجدان لايوجد له تشريع . وأن الإدراك لايوجد له تشريع فمثلا فرد يحب إنسان نقول له .. أحب كما شئت لكن لاتظلم الناس ، إنسان يبغض إنسان .. إبغض ماشئت لكن لاتظلمه للناس.

إذاً .. المسائل الوجدانية الاسلام لايتدخل فيها لأنه لايوجد فى الاسلام ، ولايوجد تشريع .. حب فلان ، وإبغض فلان .. الحب العقلى شىء ، والحب العاطفى لايستطيع أى إنسان ان يقدر بالاقناع عليه ، ولذلك ..

«وَلَايَجرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ علىٰ ألاَّ
تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»

(المائدة : ٨)

أى لايمنعكم بغض قوم على الا تعدلوا بل إعدلوا هو أقرب للتقوى إذاً فهو لم يمنع شنئان ، انما منع أن يجرنا شنئان الى الظلم فاذا وجد الشنئان ولم يجد الظلم فاننا ليس لنا به أى علاقة .. حب من تحبه فقد قال عمر بن الخطاب قال لقاتل زيد بن الخطاب .. إذهب عنى وجهك لاننى لا أحبك ، فقال له .. أو عدم حبك لى يمنعنى حقا من حقوقى .. فقال له عمر .. لا ، قال .. إنما يبكى على الحب .. النساء !

* * *

٣

الحجاب

والحجاب كذلك هو غض البصر ففى ذلك تأمين المرأة وتأمين للرجل لماذا ؟ .. قيل أن عمر المرأة فى الجمال .. محدود ، والمرأة دائماً لمهماتها الكبيرة تشيخ قبل الوجل ، فهب أن رجلاً متزوجاً من إمرأة واحدة ، وعاش معها فترة من الزمن الى أن .. ذبل جمالها ، وإنتهت نضارتها فبعد ذلك أدخلها نظام الحمل ، ونظام الرضاعة ، ونظام العمل المنزلى ألى أن أصبحت غير مغرية ، ولامستميلة ولاجذابة لزوجها .

الزوج لو أنه لم ير إلا زوجته تلك لكانت ستظل فى نظره لا تتغير فى يوم عن يوم ،لكن التغير يسرق من الرجل .. ومعنى التغير يسرق من الرجل هو أن التغير يأتى ليس فجأة ، ولكن يأتى متسللاً كيف ؟!.. إنك إن نظرت الى إبنك ساعة ولد وظللت ناظراً له دائماً .. لايكبر فى نظرك أبداً لماذا ؟ .. الكبر ليس معناه أن جزء من القدر يأتى فى قدر من

الزمن فى نهايته ، ولكن الذى أتى جزء شائع فى كل الزمن يعنى ..إن كان سيكبركل يوم ملليمتر فليس معنى ذلك أنه يأتى فى آخر النهار ويزيد الملليمتر .. لا .

حكمة الزمن الشائـــع ..

المليمتر هذا شائع فى كل الزمن ، وفى ثنايا الزمن أى ينمو نمو غير مدرك لأنه لاتوجد أجهزة تضبطه لك .. لكن إذا تغيبت عن إبنك شهرين أو ثلاثة فيجتمع النمو المستطرد فى كل الزمن ويرى فى لحظة واحدة من اللحظات .. فتعلـم إنه كبر ، ولكـن إذا بقيت معه وأنظـر اليه لم أدرك شيئاً من النمـو .

اذا زرعت نباتا وظللت ناظراً اليه منذ لحظة زراعته يخيل لك أنه لم يكبر لماذا ؟ .. لأن النمو سيذوب فى جزئيات الزمن ، وليس لك المعايير الذى تضبط بها، فكذلك الرجل الذى دخل على زوجته وهى فى لباس عرسها وجميلة ، ونظر اليها إذا اصبح فلم يجدها تغيرت عن الأمس ، وباكر لم تتغيرعن اليوم لان التغير يأتى خلسة .. فاذا لم ير غير إمرأته ظن أن الدنيا كلها مثلها ، ولكن إذا خرج الى الشارع فوجد فتاة أو إمرأة سافرة فى روعة الشباب ومتزينة ماذا يكون موقف هذا الرجل ؟ .

الرجل هنا سيبدأ فى دور المقارنة ، وإذا ابتدأ فى دور المقارنة بين تلك الصورتين حيث فتاة فى مقتبل عمرها ، وأخرى فى أدبار عمرها ..

لاشك أن مقاييسه ستختل ، ولذلك ففساد البيوت كلها يوجد فى هذه المسألة ــ المقارنة ــ وتخلع على الأسباب هذه أسباب أخرى مثل .. تلك ليست مدبرة .. وكذا .. وكذا فهى ليست كذلك ! ، ولكن مثل مايقال فتلك تأفيفات ــ مبررات ــ لانه رأى فى غيرها بالخارج غيرته .

زوجته المسكينة هذه .. حملت وولدت وأرضعت وتعبت وأصبحت فى خريف عمرها ، وكذلك أبناؤها الذين لم يستوفوا حظهم من الحياة بعد ، ومازالوا الأبناء فى دور الاعداد لها فان حياته لم تستقربعد ليتزوج ،فعندما يرى ذلك يلهب ويحرك غريزته .. فيجلب غريزته تلك من الشارع فكما يأتى ذلك الفساد من ناحية الأب .. يأتى أيضا من ناحية الابناء فهذا يكون نكد على من ؟ .. يكون نكد على ربة البيت ، فلا يدرك الناس أسباباً ويعاندون بأسباب غير طائل لهم ، وليست هى تلك كل الاسباب !!

السـفـور ..

التشريع حينما يتدخل فانه منع هذه العملية وقال للمرأة .. أنا إن منعتك من السفور ، ومن التهتك فى أيام روعة جمالك فأنا أريد أن أحميك حينما يزول هذا الجمال .. أحميك من سواك حتى لايكون عند رجلك مرئى بعينه إلا أنت .. فإن رأى سواك مما هن أجمل منك تأتى .. فالحياة لاتتعكر ، وصفوها لاينتهى .. فكل فساد الدنيافى هذه المسألة ، فذلك تأكيد صدق من أن التشريع حينما طلب من المرأة أن تقر فى بيتها ، وإن خرجت .. تخرج غير متهتكة ، ولا متبرجة .

إذا ماخلا على هذه المسألة الحضارية نقول لهم .. أنتم كذابون فاذا ماإقتصرت المسألة على خروجكن حتى الى المدارس فيكون باحتشامكن .. إنما ماالعلاقة بين تعليمكن وبين صدوركن الواسعة العارية ؟ .. وبين وجوهكن الفاضحة الواضحة ؟ .. ماالعلاقة بين التعليم والفخذ يظهر ؟ .. ماالعلاقة بين هذا والفساتين كالبوية ملتصقة لتدل على مفاتن المرأة .. إذا المسألة أنكم أنتم أخذتم ضرورة وأدخلتم فيها غير ضرورات ، وبذلك حققتم لمريدى الفتنة بالاسرة المسلمة مايريدون .

❑ ❑ ❑

الميـــراث

١

الحقوق الارثية

أعداء الاسلام أتخذوا المرأة كعنصر فعال فى الدخول على المسلمين فى عقائدهم فقد دخلوا عليها .. كأم ، ودخلوا عليها .. كأخت ، ودخلوا عليها .. كبنت وذلك ليستخدموها فى الهجوم الجديد ضد المبادىء الاسلامية ، وأيضاً فى النيل من التبشير للمؤمنين الورعين فى الجنة الذين أعد للرجال منهم فيها حوراً عيناً ، وترك النساء بلا ولدان .. هكذا أروادوا أن يدخلوا على الاسلام ، مما يدل على أن المخططين ضد الاسلام رجال لهم خبرة بكل قضايا الاسلام فهم يتعمقون فى دراستها فلا ينشروها هدياً ، ولكن ليأخذوا سطحيات المفارقات ضرراً ضد الاسلام .

وإننى أحاول أن أرد على تلك القضية فأقول للفتاة المسلمة إن القرآن قد حذر من ذلك فقال ..

«وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن
مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ»

(البقرة :٢٢١)

فكلمة .. «وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ» .. فى القرآن تدل على أنه قد يستغل الاعجاب الذى يوجد فى مقومات البنية التكوينية للرجل ليغرى بها المرأة ، وأيضا جاء الجنس المقابل ..

«وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن
مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ»

(البقرة :٢٢١)

إنه الاعجاب المادى عن القالب المجرد عن القيم يعطى متعة وقتية ولكنه ينثر فى القيم وفى المقومات الاصيلة للتكوين الإنسانى وهى الأهم.

فى التركة الاسلام
محابيا للمـرأة ..

وأيضاً دخلوا على الاسلام من ناحية أنه جاء ضد المرأة لأنهم قالوا وأشاعوا عند المرأة المسلمة أن الاسلام وقف عندها فى الحقوق الإرثية

التى تؤول اليها ممن ترثه فهى دائماً على النصف من الرجل وكأنها يجب أن تكون على النصف من الرجل فى كل شىء .

الاسلام فى مسألة الميراث لم يكن ضد المرأة ، ولكنه كان محابياً للمرأة لأن قضايا الاسلام لاتأخذ قضية منه فى غياب قضية أخرى ، ولكن يجب أن تأخذ القضية فى حضور أخواتها من القضايا الأخرى ليكون الحكم على القضايا مجتمعة لا على القضية منفردة .

الاسلام حين يعطى المرأة نصف الرجل قد جعل المرأة هى المقياس فلم يقل .. إعطوا المرأة نصف الرجل فقط ، بل قال .. إعطوا الرجل ضعف المرأة فجعل المرأة هى المقياس الذى يؤول اليه الامر أو المكيال الذى يكال به الأمر فى الميراث .

نصيب المرأة
هو القاعدة ..

جَعْلُ المرأة هى المقياس يدل على أن الاسلام نظر إقتصادياً الى هذا المسألة فى أضعف قواعدها وهى .. المرأة ثم جعل نصيب الضعيف هو القاعدة !! .. وبعد ذلك جاء للأقوى فحمل قضية الأقوى على قضية الأضعف فقال الحق سبحانه وتعالى ..

«لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ»

(النساء : ١١)

فكأن حظ الأنثى هو المعتبر أساساً فى القياس .. وهو المعتبر قاعدة للمكيال ، فالنظرة الاقتصادية إنما جاءت من هذه الناحية ، ولكن كيف يكون ذلك ؟ .

* * *

٢

فــى المقيــــاس الاقتصادى حكمة !

فى النظرة الاقتصادية يجب أن تنظر الى أنه ليس فى كل أحوال الميراث .. المرأة تأخذ نصف الرجل .. بل فى كثير من حالات الميراث تأخذ المرأة مثل الرجل .. كالأم تأخذ مثل الاب ، والاخوات مثل الأم يأخذن .. الذكر مثل الانثي تماماً ، ولكن المسألة تختلف فى الأخ والأخت فقط لأن الاسلام لاحظ المقياس الاقتصادى .

المقياس الاقتصادى يقول .. إننا نريد أن نعطى دخل من ميت لنزيد به دخل حي ، والدخل المفروض فيه هو .. القيام بوجهات نظر الحياة ، ووجهات نظر الحياة تختلف مابين .. المرأة ، وما بين .. الرجل لأن المرأة التى حصرنا كل القضايا التي تتعلق بها فى الاسلام وجدناها غير مسئولة عن نفقة نفسها .. فهى إن كانت بنتاً مسئولة عن أبيها ، وإن كانت أماً مسئولة من زوجها ومن أبنائها .

وطالما أن المرأة هى بنتا مسئولة من أبيها ، وزوجة هى .. مسئولة من زوجها إن تزوجت ، ولايلزمها الاسلام أن تنفق شيئا من مالها على نفسها ولو كانت غنية ، حتى زوجها الفقير .. عليه وهو الفقير المتزوج من غنية أن يقترض لينفق عليها .. لهذا فالمرأة لا إلتزام عليها فى الاسلام لأنها محمية إما فى الزوج ، وإما فى الابناء ، وإما فى الاعمام ، وإما فى الاخوة ففى كل أمورها ليست مسئولة عن نفسها أبداً .

فى النصف محاباة للمرأة !! ..

الشرع اذا ماأتى وأعطاها نصف الرجل ــ أخيها ــ لان النصف سيكفيها إن هى ظلت بلا .. زواج فإن تزوجت فسيكون هذا النصف وفراً لها لأنها ستلحق بمن ينفق عليها فلا يطالبها الشرع حتى بأن تقرضه من مالها حتى ينفق عليها كزوجة .

الاخ الذى أخذ ضعف أخته مطلوب منه أن يبنى حياته بزوجة يأتى بها لينفق عليها .. فهذا الاخ سيأتى بزوجة لينفق عليها ، وأخته ستذهب الى زوج ينفق عليها .

ولهذا يجب أن يكون الكلام لماذا حابا الاسلام المرأة ؟ .. ذلك هو .. الكلام المنطقى والواقعى ومن هنا نقول له .. نعم هو حاباها ، الاسلام لم

يظلم المرأة وإنما حاباها لان الاسلام يراعى أن المرأة قد تكون من سلاحها فى الحياة .. أنوثتها فهو أراد أن يعصمها من أن تستغل سلاح الانوثة فى حياتها فأعطاها .. هذا النصف حتى اذا ماظلت بلا عائل فان النصف يمكن أن يكفيها ، واذا ما جاء لها عائل يكون هذا الجزء وفراً لها .

أما الرجل فعلى العكس من ذلك .. سلاحه رجولته ، وكفاحه فى الحياة ، والأمر مبنى على الستر .. إذاً فيجب أن يفهم المسلمون فى كل بقاع الارض إن وردت اليهم شائعة من هذه الشائعات أو وافدة من هذه الوافدات الالحادية أن تكون عندهم المناعة الكافية فى أن يعطوا كل قضية ردها الاسلامى الذى تنهار أمامه كل الحجج البطلانيه التى يأتى بها خصوم الإسلام .

والحمد لله رب العالمين

المحتوى

الإمام

محمد متولي الشعراوي

قيثارة إيمانية يطرب العقل والفؤاد والقلب لعذوبة نغماتها الإيمانية من أجل دعوة خالصة غايته .. أن نعى وندرك .. مجتمع متحاب يسوده التقوى والإيمان ، والرحمة والتعاطف، وأيضاً .. مجتمع يدرك أهمية الإنسان المسلم الورع التقى ليسعد بحياته ، ويفوز بالنعيم الدائم لآخرة فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

لقاء الإيمان مع فضيلة الإمام يتمثل هنا فى .. الرد على خصوم الإسلام فيما يتغامزون به لإثارة أمور هامة فى حياة **المرأة والرجل** ، فهذه أمور لها دلالتها فى حياة الإنسان المسلم رجلاً كان أو إمرأة ففى كل من تلك يتناولها بالشرح والتفهيم بأسلوب ندركه ونعيه فى كلمات رقاقة كالماء العذب من نبع حلو المذاق ليضحض به أباطيل أعداء الإسلام ، ويقدم لنا من الأدوات للرد بها على هذه الدعاوى الباطلة فى كل من .. **الزواج والطلاق** ، **التعدد وحكمته** ، **الطفولة والتبنى** ، **العمل** ، **خروج المرأة والحجاب** ، **الميراث** .

تلك روضة إيمانية للداعية الجليل أزاهيرها عطر لكل مسلم هنا وهناك فى شتى بقاع الأرض والمعمورة لتكون منهجاً لهداية أهل هذه الأرض .